فرش كتاب الزبرجدة في الأجواد والأصفاد

قال الفقيه أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه، تغمده الله برحمته: قد مضى قولنا في الحروب ومايدخلها من النقص والكمال، وتقدم الرجال على منازلهم من الصبر والجلد، والعدة والعدد. ونحن قائلون بعون الله وتوفيقه في الأجواد والأصفاد[١]، إذ كان أشرف ملابس الدنيا، وأزين حللها، وأجلبها لحمد، وأدفعها لذم، وأسترها لعيب، كرم طبيعة يتحلى بها السمح السري، والجواد السخي. ولو لم يكن في الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تسمىٰ بها، فهو الكريم عزوجل. ومن كان كريما من خَلْقه، فقد تسمى باسمه، واحتذى على صفته.

وقال النبى ﷺ: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**»[٢].

وفي الحديث المأثور: «**الخلق عيال الله، فأحب الخلق إلى الله أنفعهم لعياله**»[٣].

وقال الحسن والحسين رضى الله عنهما لعبد الله بن جعفر: إنك قد أسرفت فى بذل المال. قال: بأبي وأمي أنتما، إن الله قد عودني أن يتفضل علي، وعودته أن أتفضل

---

(١) الأصفاد: جمع صفد (بالتحريك) وهو العطاء.

(٢) قال المناوي: قال الذهبي في مختصر المدخل طرقه كلها ضعيفه وله شاهد مرسل، وحكم ابن الجوزي بوضعه وتعقبه العراقي ثم تلميذه ابن حجر بأنه ضعيف لا موضوع. انظر فيض القدير [٣٤٥]. وقال السخاوي بعد أن ذكر طرق الحديث: «وبهذه الطرق يقوى الحديث» المقاصد الحسنة [٥٠] وانظر العجلوني/ كشف الخفا [١٨٠] والصحيحة [١٢٠٥].

(٣) رواه أبو يعلى والبزار عن أنس ورواه الطبراني عن ابن مسعود وأشار المناوي في فيض القدير (٥٠٥/٣) إلى أنه لايصح.

على عباده، فأخاف أن أقطع العادة فيقطع عني.

وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: أنت متلاف. قال: منع الجود سوء ظن المعبود. يقول الله عزوجل: ﴿ **ومأأنفقتم من شيءٍ فهو يخلفه وهو خير الرازقين** ﴾[١].

وقال النبي ﷺ: أنفق بلال ولاتخش من ذي العرش إقلالا[٢].

مدح الكرم وذم البخل

قال النبي ﷺ: «**اصطناع المعروف يقي مصارع السوء**»[٣].

وقال عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يحب الجود ومكارم الأخلاق ويبغض سفسافها**»[٤].

وقال النبي ـ ﷺ ـ لقوم من العرب: «**من سيدكم**»؟ قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه. فقال ﷺ: «**وأى داء أدوى من البخل**»؟[٥]

يقول الله تعالى: ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[٦]

وقال أكثم بن صيفى حكيم العرب: ذللوا أخلاقكم للمطالب: وقودوها إلى المحامد، وعلموها المكارم، ولاتقيموا على خلق تذمونه من غيركم، وصلوا من رغب

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٣٩

(٢) رواه البزار عن بلال وعن أبي هريرة ورواه الطبراني فى الكبير عن ابن مسعود وصححه الألباني انظر المشكاة [١٨٨٥] وصحيح الترغيب [٩٣٣] وصحيح الجامع الصغير [١٥١٢].

(٣) رواه الحاكم عن أنس بلفظ: «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**» قال الألباني: صحيح انظر صحيح الجامع [٣٦٩١].

(٤) رواه البيهقي عن طلحة بن عبيد الله بلفظ «**إن الله تعالى جواد يحب الجود ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**» وقال الألباني صحيح انظر الصحيحة [١٦٢٧] وصحيح الجامع [١٧٤٠].

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ٣/ ٣٤٢.

(٦) سورة الحشر آية رقم ٩.

إليكم، وتحلوا بالجود يكسبكم المحبة، ولاتقتعدوا [١] البخل فتتعجلوا الفقر.

أخذه الشاعر فقال:

أمن خوف فقر تعجَّلته وأخَّرتَ إنفاق ما تجمع
فصرت الفقير وأنت الغنيُّ وما كنت تعدو الذى تصنع

وكتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه ويخوفه بالفقر. فرد عليه: ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا** ﴾[٢] وإنى أكره أن أترك أمراً قد وقع لأمر لعله لا يقع.

وكان خالد بن عبد الله القسرى يقول على المنبر: أيها الناس، عليكم بالمعروف، فإن الله لايعدم فاعله جوازيه. وماضعفت الناس عن أدائه، قوي الله على جزائه.

وأخذه من قول الحطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه[٣] لا يذهب العرف بين الله والناس

وكان سعيد بن العاص يقول على المنبر: من رزقه الله رزقا حسناً فلينفق منه سرًّا وجهراً، حتى يكون أسعد الناس به، فإنما يترك مايترك لأحد رجلين إما لمصلح فلايقل عليه شيء، وإما لمفسد فلا يبقىٰ له شيء.

أخذه الشاعر فقال:

أسعد بما لك فى الحياة فإنما يبقى خلافك مصلح أو مفسد
فإذا جمعت لمفسد لم يغنه وأخو الصلاح قليله يتزيد

وقال أبو ذر رضى الله عنه: إن لك فى مالك شريكين: الحدثان والوارث، فإن استطعت ألا تكون أبخس الشركاء حظّاً فافعل. [٤]

---

(١) لاتقتعدوا البخل: لاتتخذوه مطية.

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٨

(٣) جوازيه جمع جاز، أى لايعدم جزاء عليه.

(٤) أورده ابن قتيبة مع بعض الاختلاف. انظر عيون الأخبار ج٣ ص٢٠١.

وقال محمود الوراق :

من ظن بالله خيراً جاد مبتدئاً والبخل من سوء ظن المرء بالله

محمد بن يزيد بن عمر بن عبد العزيز قال: خرجت مع موسى الهادي أمير المؤمنين من جرجان، فقال لي : إما أن تحملني وإما أن أحملك. ففهمت ماأراد، فأنشدته أبيات ابن صرمة الأنصارى[1]:

فأوصيكم بالله أول وهلة وأحسابكم، والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدوهُمُ وإن كنتمُ أهل السيادة فاعدلوا
وإن أنتمُ أعوزتمُ فتعففوا وإن كان فضل المال فيكم فأفضلوا

فأمر لى بعشرين الفاً

وقال عبد الله بن عباس: سادات الناس فى الدنيا الأسخياء، وفى الآخرة الأتقياء.

وقال أبو مسلم الخولا ني: ماشيء أحسن من المعروف إلا ثوابه. وما كل من قدر على المعروف كانت له نية. فإذا اجتمعت القدرة والنية تمت السعادة، وأنشد :

إن المكارم كلها حَسَنٌ والبذل أحسن ذلك الحسنِ
كم عارف بي لست أعرفه ومُخبّر عني ولم يرني
يأتيهم خبرى وإن بعدت داري بُوعِد عنهم وطني
إني لِحُرِّ المال ممتهن ولَحُرِّ عرضي غير ممتهنِ

وقال عمرو بن العاص: والله لرجل ذكرني، ينام على شقة مرة وعلى شقة أخرى، يراني موضعاً لحاجته، لأوجب عليَّ حقاً إذا سألنيها مني إذا قضيتها له.

وقال عبد العزيز بن مروان: إذا أمكنني الرجل من نفسه حتى أضع مَعْروفي عنده، فيَدُهُ عندي أعظم من يدي عنده. وأنشد لابن عبّاس رضي الله تعالى عنهما:

إذا طارقاتُ الهمِّ ضاجعت الفتىٰ وأعمل فكر الليل و الليلُ عاكِرُ

---

(١) هو أبو قيس صرمة بن أبى أنس بن صرمة، من بنى النجار. وكان قد ترهب فى الجاهلية وفارق الأوثان، حتى قدم على الرسول ﷺ فأسلم وحسن إسلامه.

وباكرنى فى حاجة لم يكن لها ... سوايَ ولامن نكبةِ الدهر ناصرُ
فرجت بمالي همّــه عن خناقه ... وزايله الهمُّ الطَّروق المُساور
وكان له فضلٌ عليَّ بظنّه ... بيَ الخيرَ إنّي للذى ظَنَّ شاكرُ

وقيل لأبى عُقيل البليغ العِراقيّ : كيف رأيت مروان بن الحكم عند طلب الحاجة إليه؟ قال: رأيت رغبته فى الإنعام فوق رغبته فى الشكر، وحاجته إلى قضاء الحاجة أشد من حاجة صاحب الحاجة .

أخذه بشار فنظمه فقال:

مالكيُّ ينشقّ عن وجهه الجَدْ ... بُ كما انشقّت الدُجَى عن ضياءِ
ليس يُعطيك للرجــاء ولا الخَوْ ... فِ ولكـن يلذّ طَعْـمَ العطاءِ

وقال زياد: كفَىٰ بالبخلِ عاراً أنَّ اسمه لم يقع فى حمد قطّ، وكفىٰ بالجود فخراً أن اسمه لم يقع فى ذم قط.

وقال آخر :

لقد علمْتِ وقد قطّعتنى عذلا ... ماذا من الفضل بين البخل والجود
إلّا يَكُن وَرَقٌ يوماً أراح به ... للخابطين فإنى لَيِّنُ العُودِ
لايعدم السائلون الخيرَ أفعله ... إما نوالاً وإما حُسْــنَ مَرْدودِ

قوله : «إلا يكن ورق» يريد المال، وضربه مثلا. ويقال: أتى فلان [فلاناً] يختبط ماعنده. والاختباط: ضرب الشجر ليسقط الورق لتأكله السائمة، فجعل طالب الرزق مثل الخابط.

وقال أسماء بن خارجة: ماأُحبّ أن أرد أحداً عن حاجة طلبها. لأنه لايخلو أن يكون كريماً فأصون له عِرْضَه، أو لئيما فأصون عرضي منه.

الترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف

قال النبي ﷺ: «**إذا أردتم أن تعلموا ما للعبد عند ربه، فانظروا مايتبعه من حسن الثناء**»(١).

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري: اعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس، واعلم أن مالك عند الله مثل ما للناس عندك.

وقيل لبعض الحكماء: ماأفادك الدهرُ؟ قال: العلم به، قيل: فما أحمد الأشياء؟ قال: أن تبقى للإنسان أُحدوثة حسنة.

وقال بعضُ أهل التفسير في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**واجعل لي لسانَ صِدْقٍ في الآخرين**﴾(٢) إنه أراد حسن الثناء من بعده.

وقال أكثم بن صيفيّ: إنما أنتم أخبار، فَطَيِّبوا أخباركم.

أخذ هذا المعنى حبيب الطائي فقال:

وما ابن آدم إلا ذِكْرُ صالحةٍ ... أو ذكر سيئة يَسْرِي بها الكلمُ
أمَا سَمِعتَ بدهر بادَ أُمَّتُهُ ... جاءت بأخبارها من بعدها أُمَمُ

وقال أبو بكر محمد بن دريد:

وإنما المرء حديثٌ بعدَه ... فكُنْ حديثاً حسناً لمن وَعَىٰ

وقالوا: الأيام مزارع فما زرعت فيها حصدته.

ومن قولنا في هذا المعنى وغيره من مكارم الأخلاق:

يا من تَجَلّد للزما ... ن أما زمانك منك أَجْلَدْ
سَلِّط نُهاك على هَوا ... ك وعُدّ يومَك ليس من غَدْ
إن الحياةَ مزارعٌ ... فازرع بها ما شئت تَحْصُدْ

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخه عن علي وفيه عبدالله بن سلمة متروك ورواه مالك عن كعب الأحبار موقوفاً. قاله المناوي في فيض القدير [٣٦٢]. وضعفه الألباني انظر الضعيفة [١٦٢٠].

(٢) سورة الشعراء آية/ ٨٤.

والنـــاس لا يَبقـــىٰ ســـوى آثارهـــم والعـــينُ تَفْقِـدْ
أو ما ســـمعتَ بمـــن مضـىٰ هذا يُـذَم وذاك يُحْمَـــدْ
والمـــالُ إن أصـلحتَـــه يَصْلُـح وإن أفســـدت يَفْسُـدْ
والعِلْـــمُ ما وعـــت الصُّـــدو ر وليس ما فى الكُتْـــب تَخْلُدْ

وقال الأحنف بن قيس : ماادخرت الآباء للأبناء، ولا أبقت الموتى للأحياء، شيئاً أفضل من اصطناع المعروف عند ذوي الأحساب والآداب.

وقالوا: تربيب المعروف أولى من اصطناعه.

وقالوا: أحْي معروفك بإماتة ذكره، وعظِّمه بالتصغير له.

وقالت الحكماء: من تمام كرم الـمُنْعِم التغافل عن حُجَّته، والإقرارُ بالفضيلة لشاكر نعمتـه.

وقالوا: للمعروف خصال ثلاث: تعجيله وستره وتيسيره، فمن أخلَّ بواحدة منها فقد بخس المعروف حقه، وسقط عنه الشكر.

وقيل لمعاوية: أي الناس أحب إليك؟ قال: من كانت له عندي يد صالحة. قيل فإن لم تكن له؟ قال: كانت لي عنده يد صالحة.

وقال النبي ﷺ: «**من عظمت نعمة الله عنده عظمت مؤونة الناس عليه، فإن لم يقم بتلك المؤونة عرَّض النعمة للزوال**»(١).

ابن المبارك عن حميد (٢) عن الحسن قال: لأن أقضيَ حاجةً لأخ لي أحبُّ إليّ من عبادة سنة.

---

(١) قال العراقي: رواه ابن عدي وابن حبان في الضعفاء من حديث معاذ بلفظ: «**ماعظمت نعمة الله على عبد إلا . . .**» فذكره وفيه أحمد بن معدان، قال ابوحاتم مجهول والحديث باطل، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عمر بإسناد منقطع وفيه حلبس بن محمد أحد المتروكين، ورواه العقيلي من حديث ابن عباس، قال ابن عدي يُروَى من وجوه كلها محفوظة. انظر المغني عن حمل الأسفار [٣٣٠٤] وتخريج احياء علوم الدين [٣٠٤١]. والمقاصد الحسنة [٩٦٨] وفيض القدير [٧٩٤٢] وضعيف الجامع [٥١٠٨].

(٢) هو حميد الطويل بن طرخان، مولى طلحة الطلحات الخزاعي، ويكنى أبا عبيدة، مات سنة اثنتين وأربعين ومائة انظر المعارف لابن قتيبة ص٤٨١.

الجود مع الإقلال

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما حكاه عن الأنصار: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِم وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١].

قال عليه الصلاة والسلام: «**أفضل العطية جهد المقل**»[٢].

وقالت الحكماء: القليل من القليل أحمد من الكثير من الكثير.

أخذ هذا المعنى حبيب فنظمه فى أبيات كتب بها إلى الحسن بن وهب الكاتب وأهدى إليه قلماً:

قد بعثنا إليك أكرمك اللـ ـه بشيء فكن له ذا قبول
لاتَقِسْه إلى نَدَى كفك الغَمْـ ـر ولانيلك الكثير الجزيل
واستجز قِلة الهديَّة منّى إنّ جُهد المُقِلِّ غيرُ قليل

وقالوا: جهد المقل أفضل من غنى المكثر.

وقال صريع الغوانى:

ليس السماح لمكثر في قومه لكنْ لمُقْتِر قومه المُتَحَمِّد

وقال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ ماوَدِدت أن أحداً ولدتنى أمُّه إلا أُمّ جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه تَبِعْتُه ذاتَ يوم وأنا جائع، فلما بلغ البابَ التفت فرآني فقال لي: أدخل، فدخلت. ففكّر حيناً فما وجد فى بيته شيئاً إلا نِحْيا[٣] كان فيه سمن مُرّ، فأنزله من رفٍّ لهم، فشقّه بين أيدينا، فجعلنا نلعق ماكان فيه من السمن والرُّبّ[٤] وهو يقول:

---

(١) سورة الحشر آية ٩.

(٢) رواه أبو داود والحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «**أفضل الصدقة جهد المقل، وابدأ بمن تعول**». قال المناوي: رواه أبوداود في الزكاة وسكت عليه وأقره المنذري والحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي. انظر فيض القدير [١٢٥٩]. وصححه الألباني انظر الصحيحة [٥٦٦]. وصحيح الجامع [١١٢٣].

(٣) النحي (بالكسر): ماكان للسمن خاصة. (٤) رب السمن: ثفله الأسود.

ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجـود يدٌ إلا بما تَجِدُ

وقيل لبعض الحكماء: من أجود الناس؟ قال: من جاد من قِلّة، وصان وجه السائل عن المذلّة.

وقال حمّاد عجرد[1]:

أَوْرق بخير تُؤَمَّل للجَزيل فما تُرْجَى الثِّمارُ إذا لم يُورق العُودُ
إنَّ الكريم ليُخْفِي عن عُسْرَتَه حتى تراه غنيًّا وهو مَجْهودُ
وللبخيل على أمواله عِلَلٌ زُرْق العيون عليها أَوْجُه سُودُ
بُثَّ النوالَ ولا تَمْنَعْك قِلّته فكُلّ ما سدَّ فقراً فهو مَحْمُودُ

وقال حاتم:

أُضاحِك ضَيفي قبل إنزال رَحْلِه ويُخْصِب عندي والمَحَلُّ جَدِيبُ[2]
وماالخِصْب للأضياف أن يَكثُر القِرَىٰ ولكنَّما وَجْه الكريم خَصِيب

وقال عبد الملك بن مروان: ماكنت أُحب أنّ أحداً وَلَدَني من العرب إلا عُروة بن الوَرْد لقوله:

أَتَهْزأ منّي أن سَمِنتَ وأن ترى بجسمي مَسّ الجُوعِ والجُوعِ جاهدُ
لأني أمروٌ عافي إنائي شِرْكةٌ وأنت امروٌ عافٍ إنائِك واجدُ
أقسِّم جسمي في جُسومٍ كثيرةٍ واحسُوا قَراح الماءِ والماءُ باردُ

ومن أحسن ماقيل في الجود مع الإقلال، قولُ أبي تمام حبيب:

فلو لم يَكُـن فى كَفِّـه غيرُ رُوحِـه لجادَ بها فليتـق الله سائـلُه

وقال آخر:

مَلأْتُ يدي من الدُّنيا مِراراً وما طَمع العَواذلُ في اقتصادي
ولا وَجَبت عَلَيَّ زكاةُ مالٍ وهل تجب الزكاة على الجواد

---

(١) نسب هذا الشعر لبشار بن برد.

(٢) نسب هذا الشعر فى عيون الأخبار للخريمي.

العطية قبل السؤال

قال سعيد بن العاصي: قبح الله المعروف إن لم يكن ابتدىءَ من غير مسألة، فالمعروف عوض عن مسألة الرجل إذا بذل وجهه، فقلبه خائف، وفرائصه ترتعد، وجبينه يرشح؛ لايدري أيرجع بنجح الطلب، أم بسوء المنقلب، قد انتُقع لونُه، وذهب دمُّ وجهِه. اللهم فإن كانت الدنيا لها عندي حظًّا فلا تجعل لي حظًا في الأخرة.

وقال أكثم بن صيفيّ: كل سؤال وإن قل أكثر من كل نوال وإن جل.

وقال علي بن أبى طالب رضي الله عنه لأصحابه: من كانت له إلي منكم حاجة فليرفعها في كتاب لأصون وجوهكم عن المسألة [١]

حبيب قال:

عطاؤك لايفنىٰ ويستغرق المنىٰ ... وتبقي وجوه الراغبين بمائها

وقال حبيب أيضا:

ذُلّ السؤال شجاً فى الحلق معترضٌ ... من دونـه شَرَق من خلفه جَرَض[٢]

ما ماءُ كفك إن جادت وإن بَخِلَتْ ... من ماء وجهي إذا أفنيته عِوَضُ

إنـى بأيسـر ما أدنيـت منبسـط ... كمـا بأكثر ما أقصـيت منقبـضُ

وقالوا: من بذل إليك وجهه فقد وفاك حق نعمتك.

وقالوا: أكمل الخصال ثلاث: وقار بلا مهابة، وسماح بلاطلب مكافأة، وحلم بغير ذل.

---

(١) نسب هذا الكلام مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه في عيون الأخبار لمطرف بن عبد الله يقوله لابن أخيه.

(٢) الجرض: الغصص.

وقالوا: السخي من كان مسروراً ببذله، متبرعاً بعطائه، لايلتمس عرض دنيا فيحبط عمله، ولاطلب مكافة فيسقط شكره، ولايكون مثله فيما أعطى مثل الصائد الذي يلقي الحب للطائر، لايرد نفعها ولكن نفع نفسه.

نظر المنذر بن أبى سبرة إلى أبي الأسود الدّؤلي وعليه قميص مرقوع، فقال له: ماأصبرك على هذا القميص؟ فقال له: رب مملوك لايستطاع فراقه. فبعث إليه بتخت من ثياب. فقال أبو الأسود:

كساني ولم أستكسه فحمدته ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر
وإن أحق الناس إن كنت شاكراً ... بشكرك من أعطاك والعرض وافر

وسأل معاوية صعصعة بن صوحان: ماالجود؟ فقال: التبرع بالمال، والعطية قبل السؤال.

ومن قولنا في هذا المعنى

كريم على العلّات جزل عطاؤه ... ينيل وإن لم يعتمد لنوالِ
وماالجود من يُعطي إذا ما سألته ... ولكن من يُعطي بغير سؤالِ

وقال بشّار العُقَيْلي:

مالكيٌّ[1] ينشق عن وجهه الجَدْ ... بُ كما انشقت الدُّجىٰ عن ضياء
فتجوج السماء فيض يديه ... لقريب ونازح الدار نائي
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ... ف ولكن يَلَذُّ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو ... د ولكن طبائع الآباء

وقال آخر:

إن بين السؤال والاعتذار ... خُطَّةً صَعْبةً على الأحرارِ

وقال حبيب بن أوس

لئن جحدتُك ما أوليتَ من نِعَمٍ ... إني لفي اللّؤم أمضىٰ منك فى الكرمِ
أنسَىٰ ابتسامُك والألوانُ كاسِفةً ... تبسُّمَ الصُّبْح في داجٍ من الظلمِ

(١) مالكي: نسبة إلى مالك من أجداد عقبة بن مسلم

استنجاح الحوائج

قال النبي ﷺ: «**استعينوا على حوائجكم بالكتمان لها، فإن كل ذي نعمة محسود**». (١)

وقال خالد بن صفوان: لاتطلبوا الحوائج في غير حينها، ولاتطلبوها من غير أهلها؛ فإن الحوائج تطلب بالرجاء، وتدرك بالقضاء.

وقال: مفتاح نُجْحِ الحاجة الصبر على طول المدة، ومِغْلاقها اعتراض الكسل دونها.

قال الشاعر:

إني رأيتُ وفي الأيام تجربةٌ ... للصبرِ عاقبةً محمودةَ الأثرِ
وقلَّ من جدّ في أمر يحاوله ... فاستصحب الصبرَ إلا فاز بالظفرِ

ومن أمثال العرب في هذا: من أدمن قرع الباب يُوشك أن يفتح له.

أخذ الشاعر هذا المعنى فقال:

إن الأمور إذا انسدت مسالكها ... فالصبرُ يفتق منها كل ما ارتتجا
لا تيأسن وإن طالت مطالبة ... إذا تضايق أمر أن ترى فرجا
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحاجته ... ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وقال خالد بن صفوان: فوت الحاجة خير من طلبها إلى غير أهلها، وأشد من المصيبة سوء الخلف منها.

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان عن معاذ بن جبل رضي الله عنه كما روي بطرق أخرى وأورده ابن الجوزي في الموضوعات ونقل عن الإمام أحمد ويحيى بن معين رحمهما الله أنهما قالا: هو موضوع وليس له أصل. انظر السخاوي/المقاصد الحسنة [١٠٣] وانظر المناوي/ فيض القدير [٩٨٥] وقد صححه الألباني بمجموع طرقه انظر الصحيحة [١٤٥٣] وصحيح الجامع [٩٤٣].

وقالوا: صاحب الحاجة مبهوت، وطلب الحوائج كلها تعزير.

وقالت الحكماء[١]: لاتطلب حاجتك من كذاب، فإنه يُقَرِّبُها بالقول، ويبعدها بالفعل؛ ولا من أحمق، فإنه يريد نفعك فيضرك، ولا من رجل له أكلة من جهه رجل، فإنه لايؤثر حاجتك على أكلته.

وقال دِعْبل بن علي الخزاعي:

جئتك مسترفداً بلا سببٍ ... إليك إلا بحرمة الأدب
فاقض ذمامي فإنني رجلٌ ... غير مُلِحٍّ عليك فى الطلب

وقال شبيب بن شيبة: إنى لأعرف أمراً لا يتلاقي به اثنان إلا وجب النجح بينهما. قيل له: وماذاك؟ قال: العقل، فإن العاقل لايسأل ما لا يمكن ولا يرد عما يمكن.

وقال الشاعر:

أتيتك لا أدلي بقُرْبَىٰ ولايدٍ ... إليك سوىٰ أني بجودك واثقُ
فإن تولني عُرفاً أكن لك شاكراً ... وإن قلت لى عذراً أقُل أنت صادقُ

وقال الحسن بن هانئ:

فإن تُولِيْ منك الجميل فأهله ... وإلَّا فإنِّي عاذر وشكور

وقال آخر:

لعمرك ماأخلقت وجهاً بذَلْتَه ... إليك ولا عرضته للمعايير
فتىً وفرت أيدي المكارم عِرْضَه ... عليه وخلَّت ماله غير وافر

ودخل محمد بن واسع على بعض الأمراء[٢] فقال: أتيتك فى حاجة فإن شئت قضيتها وكنا كريمين، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين.

أراد إن قضيتها كنت أنت كريماً بقضائها، وكنت أنا كريماً بسؤالك إياها، لأنى وضعت الطلبة فى موضعها. فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك، وكنت أنا لئيما بسوء اختياري لك.

---

(١) نسب هذا الكلام فى عيون الأخبار لمسلم بن قتيبة مع اختلاف يسير فى بعض ألفاظه.

(٢) هو قتيبة بن مسلم «انظر عيون الأخبار».

ودخل سوار القاضي على عبد الله بن طاهر صاحب خراسان، فقال: أصلح الله الأمير:

لنا حاجةٌ والعذرُ فيها مقدمُ خفيفُ مُعَنَّاهَا مضاعفةُ الأجرِ
فإن تَقْضِها فالحمدُ لله وحدَهُ وإن عاق مقدورٌ ففي أوسع العذرِ

قال له: ماحاجتك أبا عبد الله؟ قال: كتاب لى إن رأى الأمير ـ أكرمه الله ـ أن ينفذه في خاصته، كتبه إلَيَّ موسىٰ بن عبد الملك في تعجيل أرزاقي.

قال: أو غير ذلك أبا عبد الله نعجلها لك من مالنا؟ وإذا وددت كنت مخيراً بين أن تأخذ أو ترد. فأنشد سوار يقول:

فبابك أيمنُ أبوابهم ودارك مأهولة عامره
وكفك حين ترى المجتدي ن أندىٰ من الليلة الماطره
وكلبك آنس بالمعتفين من الأم بابنتها الزائره

ودخل أبو حازم الأعرج على بعض أهل السلطان، فقال: أتيتك فى حاجة رفعتها إلى الله قبلك، فإن يأذن الله لك في قضائها قضيتها وحمدناك، وإن لم يأذن فى قضائها لم تقضها وعذرناك. (١)

قال المنصور لرجل دخل عليه: سل حاجتك؛ قال: يبقيك الله ياأمير المؤمنين. قال: سل حاجتك فإنك لست تقدر على مثل هذا المقام في كل حين قال: والله ياأمير المؤمنين، ماأستقصِر عمرك، ولا أخاف بخلك، ولا أغتنم مالك، وإنَّ عطاءك لشرف، وإن سؤالك لزين، ومابامرىء بذل إليك وجهه نقص ولاشين. فوصله وأحسن إليه.

---

(١) ذكر ابن قتيبة أن محمد بن واسع دخل على قتيبة بن مسلم وقال له هذا القول، انظر عيون الأخبار ج ٣ ص ١٤٣

استنجاز المواعيد

من أمثالهم في هذا: أنجز حُرٌّ ماوعد.

وقالوا: وعد الكريم نقد، ووعد اللئيم تسويف.

وقال الزهري: حقيق على من أورق بوعد أن يثمر بفعل.

وقال المغيرة: من أخَّر حاجة فقد ضمنها.

وقال الموبذان الفارسي: الوعد السحابة، والإنجاز المطر.

وقال غيره. المواعيد رءوس الحوائج، والإنجاز أبدانها.

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما: خلف الوعد ثلث النفاق، وصدق الوعد ثلث الإيمان، وماظنك بشيء جعله الله تعالى مدحة في كتابه، وفخراً لأنبيائه، فقال تعالى: ﴿**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبيًّا**﴾ (١)

وذكر جبار بن سلمى عامر بن الطفيل، فقال: كان والله إذا وعد الخير وفَّى، وإذا أوعد بالشر أخلف، وهو القائل:

ولايرهب ابن العم ماعشت صولتي ... ويأمن مني صولة المتهدد
وإنّي وإن أوعدته أو وعدته ... ليكذب إيعادي ويصدق موعدي

وقال ابن أبي حازم:

إذا قلت في شيء «نعم» فأتمه ... فإن «نعم» دين على الحر واجبُ
وإلا فقل «لا» تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس إنك كاذبُ

ولو لم يكن في خلف الوعد إلا قول الله عزوجل: ﴿**ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالاتفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون**﴾ (٢) لكفى.

وقال عمر بن الحارث: كانوا يفعلون ولايقولون، ثم صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لايقولون ولايفعلون: فزعم أنهم ضنوا بالكذب فضلا عن الصدق.

---

(١) سورة مريم آية ٥٤ (٢) سورة الصف آيتان ٢، ٣

وفى هذا المعنى يقول الحسن بن هانئ:

قال لي ترضىٰ بوعد كاذب ... قلت إن لم يك شحم فنفش[1]

ومثله قول عبّاس بن الأحنف، ويقال إنه لمُسلم بن الوليد، صريع الغواني:

ما ضرَّ مَن شَغل الفؤاد ببُخله ... لو كان علّلني بوعدٍ كاذب
صَبْراً عليك فما أرى ليَ حيلةً ... إلا التمسكَ بالرَّجاء الخائبَ
سأموت من كَمدٍ وتَبقى حاجتي ... فيما لديْك وما لها من طالب

قال عبدُ الرحمن بن أم الحَكَم لعبد الملك بن مروان في مواعيد وَعدها إياه فَمَطله بها: نحن إلى الفِعْل أحوجُ منّا إلى القول، وأنت بالإنجاز أولى منك بالمَطل. واعلم أنك لا تستحق الشكر إلا بإنجازك الوعد، واستتْمامك المعروف.

القاسم بن معْن المسعودي قال: قلت لعيسى بن موسى: أيها الأمير، ما انتفعتُ بك مذ عرفتُك، ولا أوصلتَ لي خيراً مذ صَحِبتك. قال: ألم أكلِّم لك أميرَ المؤمنين في كذا وأسأله لك كذا؟ قال: قلت: بلى، فهل استنجزتَ ما وعدت، واستَتْمَمت ما بدأت؟ قال: حال من دون ذلك أمورٌ قاطعة، وأحوالٌ عاذرة. قلت: أيها الأمير، فما زِدْت على أن نَبَّهت العجز من رَقدته، وأثرت الحُزن من رَبْضَته، إنّ الوعد إذا لم يشْفعه إنجاز يُحَقّقه، كان كلفْظٍ لا معنى له، وجِسْم لا رُوح فيه.

وقال عبد الصمد بن الفَضْل الرّقاشي لخالد بن دَيْسم، عامل الرَّيّ.

أخالد إنّ الرَّي قد أجحفتْ بنا ... وضاق علينا رَحْبُها ومَعاشُها
وقد أطمعتْنا منك يومًا سحابةٌ ... أضَاءت لنا برْقًا وأبطا رشاشها
فلا غَيْمُها يصحو فيُيْئِس طامعا ... ولا ماؤها يأتي فتُروَى عِطاشها

وقال سعيد بن مسلم: وعد أبي بشاراً العقيلى حين مدحه بالقصيدة التى يقول فيها:

صدَّت بخد وجَلَتْ عن خدٍّ ... ثم انثنت كالنَّفسِ المُرتدّ

---

(١) نفش: نفش القطن ونحوه نفشاً.
المعجم الوسيط ص ٩٤٠

فكتب إليه بشار بالغد:

مـازال ما منيتني من همـــي والوعد غمٌّ فأرِح من غمـــي
إن لم تُرد حمدي فراقِبْ ذَمّي

فقـال له أبي: ياأبا معاذ، هلا استنجحت الحاجة بدون الوعيد؟ فإذ لم تفعل فتربص ثلاثاً وثلاثاً، فإني والله مارضيت بالوعد حتى سمعتُ الأبرش الكلبيَّ يقول لهشام: ياأمير المؤمنين، لاتصنع إليَّ معروفاً حتى تَعِدني، فإنه لم يأتني منك سَيْب على غير وعد إلا هان عليّ قدْرُه، وقلّ مني شكره. قال له هشام: لئن قلت ذلك لقد قاله سيّد أهلك أبو مسلم الخولاني: إنّ أوقع المعروف في القلوب، وأبرده على الأكباد معروف منتظر بوعد لايُكدّره المطل.

وكان يحيى بن خالد بن برمك لايُقضى حاجة إلا بوعد، ويقول: من لم يَبِتْ على سرور الوعد لم يجد للصنيعة طَعْماً.

وقالوا: الخُلْف ألأم من البُخل، لأنه من لم يفعل المعروف لزمه ذمُّ اللؤم وحده، ومن وعد وأخلف لزمه ثلاثُ مذمّات: ذمَّ اللؤمِ، وذم الخُلْفِ، وذمُّ الكذبِ.

قال زياد الأعجم:

لله دَرّك مـن فـتىً لو كنت تفعل ماتقولْ
لاخير في كَـــذِبِ الجـــوا د وحبّذا صِدْقُ البخيلْ

استبـطأ حبيب الطائي الحسن بن وهب في عدة وعدها إياه، فكتب إليه أبياتاً يستعجله بها. فبعث إليه بألف درهم، وكتب إليه:

أعجلتنـا فأتاك عاجل برِّنا قُلًّا ولو أخّرته لم يَقْلـــل
فخُذ القليل وكن كمن لم يسأل ونكـــون نحن كأننـا لم نفعل

وقال عبد الله بن مالك الخزاعي: دخلت على أمير المؤمنين المهدي وعنده ابن دأب وهو ينشد قول الشّماخ:

وأشعثَ قد قَدّ السَّفارُ قميصَه يَجُر شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضجِ[1]

(١) السفار: السفر. أي رب أشعث شقت كثرة السفر وكثرة العمل لرفقائه ثوبه.

دعوتُ إلى ما نابني فأجابني ... كريمٌ من الفتيان غيرُ مُزلّج[١]
فتىً يملأ الشِّيزى[٢] ويُرْوِي سِنانه ... ويضْرب فى رأس الكَمِيِّ المُدجَّج
فتى ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ... ولا في بيوت الحي بالمُتولِّج

فرفع رأسه إلى المهدي وقال : هذه صفتك أبا العباس فقلت: بك نلتها ياأمير المؤمنين . فضحك إلى وقال: هل تنشد من الشعر شيئا؟ قلت: نعم ياأمير المؤمنين. قال فأنشدني. فأنشدته قول السّموأل :

إذا المرءُ لم يَدْنَس من اللؤم عِرضهُ ... فكلُّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يحمل على النفس ضَيْمها ... فليس إلى حُسْنِ الثناءِ سبيلُ
إذا المرء أعيته المروءةُ يافعاً ... فمطلبها كَهْلاً عليه ثقيلُ
تُعيِّرنا أنَّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إن الكرامَ قليلُ
وماضرّنا أنَّا قليل وجارنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليلُ
ونحن أناسٌ لانرى القتلَ سُبَّةً ... إذا ما رأته عامرٌ وسَلولُ
يُقرِّب حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا ... وتَكْرهُهُ آجالهم فَتطولُ
وما مات منَّا سيِّد حَتْفَ أنفه ... ولاطُلَّ[٣] منا حيث كان قتيلُ
تسيلُ على حدِّ السيوفِ نفوسُنا ... وليستْ على غير السيوف تسيلُ
وننْكرُ إن شِئْنا على الناسِ قولَهُم ... ولايُنْكرون القولَ حين نقولُ
فنحن كماءِ المُزنِ ما فى نِصابنا ... كهَامٌ ولافينا يُعَدُّ بَخيل[٤]
وأسيافُنا فى كل شَرْقٍ ومَغربٍ ... بها من قِراع الدارعين فُلُول

فقال: أحسنت! اجلس، بهذا بلغتم، سل حاجتك؟ فقلت: ياأمير المؤمنين،

---

(١) المزلج: البخيل. والناقص المروءة .

(٢) الشيزى: خشب أسود تتخذ منه للفصاع ويطلق أيضا على الجفان التى تسوى منه، وهو المراد هنا.

(٣) طل: أى ذهب دمه هدرا.

(٤) الكهام: الكليل الحد.

تكتب لي في العطاء ثلاثين رجلا من أهلي؟ قال: نعم، فرضٌ عليّ إذا وعدت. فقلت: ياأمير المؤمنين، إنك متمكن من القُدرةَ وليس دونك حاجز عن الفعل، فما معنى العِدة؟ فنظر إلى ابن دأب كأنه يريد منه كلاماً في فضل الموعد فقال ابن دأب:

حلاوةُ الفعل بوَعدٍ يُنجَزُ لاخير في العُرفِ كنَهْب يُنهَزُ

فضحك المهديّ وقال:

الفعل أحسن ما يكونُ إذا تَقَدّمه ضمانُ

وقال المهلب بن أبي صفرة لبنيه: يابني، إذ غدا عليكم الرجل وراح مسلماً، فكفى بذلك تقاضيا.

وقال الشاعر:

أروح بتسليمي عليك وأغتدي وحسبك بالتسليم منى تقاضياً

وقال آخر:

كفاك مخبراً وجهي بشاني وحسبُك أن أراكَ وأن تراني
وما ظني بمن يعنيه أمري ويعلم حاجتي ويرى مكاني

كتب العتابي إلى بعض أهل السلطان: أمابعد، فإن سحائب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالماً من علل المطل، والسلام.

وكتب الجاحظ إلى رجل وعده: أما بعد، فإن شجرة وعدك قد أورقت، فليكن ثمرها سالما من جوائح المطل، والسلام.

ووعد عبد الله بن طاهر دِعْبَلاً بغلام، فلما طال عليه تصدّى له يوماً، وقد ركب إلى باب الخاصّة، فلما رآه قال: أسأت الاقتضاء، وجَهلت المأخذ، ولم تُحسن النظر، ونحن أولى بالفضل، فلك الغلام والدابة لما ننزل إن شاء الله تعالى. فأخذ دِعْبل بعنانه وأنشده:

ياجَوادَ اللسان من غير فِعْل ليتَ في راحتيك جُودَ اللسان
عَينَ مِهران قد لَطَمت مِراراً فاتّقي ذا الجلال في مِهْران[1]

---

(١) يضرب المثل للرجل الذى يكذب فى حديثه فيقال: هو يلطم عين مهران

عُرتَ عيناً فَدَع لِمهرَان عَيْناً لاتَدَعه يطوف فى العميان

قال: فنزل به عن دابته، وأمر له بالغلام.

وكتب أبو العتاهية إلى رجل وعده بعدة ومطله بها:

لاجعل الله لي إليك ولا وعندك ماعِشْتُ حاجةً أبدَا
ما جئتُ في حاجةٍ أُسَرّ بها إلا تثاقلتَ ثم قلت غداً

وكتب دِعبل إلى رجل وعده وعداً وأخلفه:

أحسبتَ أرضَ الله ضَيّقةً عنّى فأرضُ الله لم تَضِق
وجعلتنى فَقْعاً بقرقرة فَوَطِئتنى وطئا على حَنَقِ[1]
فإذا سألتُك حاجة أبداً فاضرب لها قُفْلا على غَلَق
وأعدَّ لى غُلاًّ وجامعةً[2] فاجمع يديّ بها إلى عُنُقي
ماأطولَ الدنيا وأوسَعُها وأدلّنى بمسالك الطُّرُقِ

ومن قولنا في رجل كتب إليَّ بعدة في صحيفة ومطلني بها:

صحيفة طابَعها اللّومُ عُنوانُها بالجهل مَختُومُ
يُهدَى لها والخُلفُ في طَيِّها والمطلُ والتسويفُ واللّومُ
من وَجهه نَحْسٌ ومن قُرْبِه رجْسٌ ومن عِرفانه شُومُ
لاتهتضم إن بتَّ ضيفاً له فَخُبْزهُ في الجَوفِ هاضومُ
تَكلمه الألحاظُ من رِقّةٍ فهو بِلَحْظ العْين مكلومُ
لاتأتدم شيئاً على أكله فإنه بالجُوعِ مأدومُ

وقلت فيه:

صحيفة كُتبت ليت بها وعسى عُنوانُها راحةُ الرَّاجى إذا يئسا
وَعدٌ له هاجسٌ في القلب قد بَرمت أحشاء صَدْرى به من طول ما هجسا
يراعة غرَّني منها وَميضُ سَنىً حتّى مددتُ إليها الكفّ مُقتَبِسَا

(١) الفقع (بالفتح ويكسر): البيضاء الرخوة من الكمأة. والقرقرة: الأرض اللينة
(٢) الجامعة: الغل، لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

فصادفتْ حَجَراً لو كنتَ تضربه ... من لُؤمه بعصا موسى لما انبجسَا
كأنما صِيغ من بُخلٍ ومن كَذِبٍ ... فكان ذاك له رُوحاً وذا نَفَساَ

وقلت فيه:

رجاء دون أقربه السحابُ ... ووعد مثل مالمع السّرابُ
وتسويف يَكِلَّ الصبرُ عنه ... ومطلُ ما يقوم له حِسابُ
وأيامٌ خلت من كل خَيْرٍ ... ودُنيا قد توزعها الكِلابُ

لطيف الاستمناح

قالت الحكماء: لطيف الاستمناح سبب النجاح، والأنفُس ربما انطلقت وانشرحت بلطيف السؤال، وانقبضت وامتنعت بجفاء السائل؛ كما قال الشاعر:

وجَفوتَني فقطعتُ عنك فوائدي ... كالدَّر يَقطعه جَفاءُ الحالب

وقال العتّابي: إن طلبتَ حاجةً إلى ذي سلطان، فأجمل في الطلب إليه، وإياكَ والإلحاحَ عليه، فإنّ إلحاحك يَكلم عِرضك، ويُريق ماء وجهك، فلا تأخذ منه عِوضاً لما يأخذ منك؛ ولعلَّ الإلحاحَ يجمع عليك إخلاقَ الوجه، وحِرمان النجاح؛ فإنه ربما ملَّ المطلوبُ إليه حتى يستخفَّ بالطالب.

وقال الحسن بن هانيء:

تأنَّ مواعيد الكِرام فرُبما ... حملتَ من الإلحاح سَمحاً على بُخلِ

وقال آخر:

إن كنت طالبَ حاجةٍ فتجمّلِ ... فيها بأحسن ما طلبتَ وأجْمِل
إنَّ الكريمَ أخا المُروءة والنُهى ... مَن ليس في حاجاته بمُثَقِّل

وقال مروان بن أبي حَفصة: لقيتُ يزيدَ بن مَزيد وهو خارج من عند المهديّ، فأخذتُ بعِنان دابته وقلت له: إني قلت فيك ثلاثة أبيات أريد لكل بيت منها مائة ألف. قال: هات، لله أبوك! فأنشأت أقول:

ياأكرمَ الناس من عُجم ومن عرب ... بعد الخليفة يا ضِرغامة العَرب
أفنيتَ مالك تُعطيه وتُنهبه ... يا آفة الفِضّة البيضاء والذّهب
إن السِّنان وحَدّ السيف لو نَطقا ... لأخبرا عنك في الهَيجاء بالعَجب

فأمر لي بها.

المدائني قال: قَدم قوم من بني أمية على عبد الملك بن مَروان، فقالوا: ياأميرَ المؤمنين، نحن ممّن تَعرف، وحقُّنا ما لا يُنكر، وجِئناك من بعيد، ونَمُتّ بقريب، ومهما تُعطنا فنحن أهله.

دخل عبد الملك بن صالح على الرشيد فقال: أسألك بالقرابة والخاصة، أم بالخلافة والعامة؟ قال: بل بالقَرابة والخاصة. قال: يداك ياأمير المؤمنين بالعطيّة أطلق من لساني بالمسألة. فأعطاه وأجزل له.

ودخل أبو الرَّيّان على عبد الملك بن مَروان، وكان عنده أثيراً، فرآه خائرًا[1]، فقال: ياأبا الرَّيان، مالَك خائرًا؟ قال: أشكو إليك الشَّرف ياأمير المؤمنين. قال: وكيف ذلك؟ قال: نُسأل ما لا نقَدر عليه ونَعتذر فلا نعذر. قال عبد الملك: ما أحسنَ ما استمنحت، واعترت[2] ياأبا الرَّيان! أعطوه كذا وكذا.

العتّابي قال:

كتب الشَّعبيّ إلى الحجّاج يسأله حاجة، فاعتلّ عليه. فكتب إليه الشّعبي: والله لا عذرتُك وأنت والي العراقَيْن، وابنُ عظيم القَريتين. فقضى حاجته. وكان جد الحجاج لأمه عُروة بن مسعود الثَّقفيّ.

العُتْبيّ قال:

قدم عبد العزيز بن زرارة الكِلابيّ على أمير المؤمنين مُعاوية، فقال: إني لم أزل أهُز ذوائب الرِّحال إليك، فلم أجد مُعوَّلا إلا عليك؛ امتطي الليلَ بعد النهارِ، وأسِم

(١) الخائر: الثقيل النفس غير النشيط.

(٢) اعتره، إذا أتاه يطلب معروفه.

المجاهلَ بالآثار؛ يقودني إليك أملٌ، وتَسوقني بَلوى، والمُجتهد يُعذر، وإذا بلغتك فَقَطني، فقال: أحطُط عن راحلتك رَحلَها.

ودخل كُريز بن زُفر بن الحارث على يزيد بن المهلب فقال: أصلح الله الأمير، أنت أعظم من أن يُستعان بك ويستعان عليك، ولست تفعل من الخير شيئا إلا وهو يصغر عنك وأنت أكبر منه، وليس العجب أن تفعل، ولكن العجب أن لا تفعل، قال: سلِ حاجتك. قال: قد حملت عن عشيرتي عشر ديَات. قال: قد أمرتُ لك بها وشَفعتُها بمثلها.

العُتبيّ عن أبيه قال:

أتى رجل إلى حاتم الطائي فقال: إنها وقعت بيني وبين قومي دِيات فاحتملتُها في مالي وأملي، فعَدِمتُ مالي وكنتَ أملي، فإن تحملها عني فربّ هّمٍ فرّجته، وغمّ كفيته، ودَين قضيته؛ وإن حال دون ذلك حائل لم أذم يومك، ولم أيأس من غدك. فَحَملها عنه.

وذكروا أن جارًا لأبي دُلف ببغداد لَزمه كبيرُ دين فادح حتى احتاج إلى بَيع داره. فساوموه بها، فسألهم ألفي دينار، فقالوا له: إن دارك تُساوي خمسمائة دينار. قال: وجواري من أبي دلف بألف وخمسمائة دينار. فبلغ أبا دُلف، فأمر بقضاء دَينه، وقال له، لا تَبع دارك ولا تَنتقل من جوارنا.

ووقفت امرأة على قيس بن سعد بن عبادة، فقالت: أشكو إليك قِلَّة الجرذان. قال: ما أحسن هذه الكناية! املئوا لها بيتها خبزاً ولحماً وسمناً وتَمرا.

إبراهيم بن أحمد عن الشَّيباني قال:

كان أبو جعفر المنصور أيام بني أمية إذا دخل البصرة دخل مُستتراً فكان يجلس في حلقة أزهر السمان للمُحدث. فلما أفضت الخلافة إليه، قدم عليه أزهر، فرحب به وقربه، وقال له ما حاجتُك ياأزهر؟ قال: داري مُتهدمة، وعليَّ أربعة آلاف درهم، وأريد أن يبني محمد ابني بعياله، فوصله باثني عشر ألفا، وقال. قد قضينا حاجتك ياأزهر، فلا تأتنا طالباً: فأخذها وارتحل. فلما كان بعد سنة أتاه. فلما رآه أبو جعفر،

قال: ما جاء بك ياأزهر؟ قال: جئتك مُسلِّماً. قال: إنه يقع في خلد أمير المؤمنين أنك جئت طالباً. قال: ما جئت إلا مُسلِّما. قال: قد أمرنا لك باثنى عشر ألفا، واذهب فلا تأتنا طالبا ولا مسلما. فأخذها ومضى. فلما كان بعد سنة أتاه، فقال: ما جاء بك ياأزهر؟ قال: أتيتُ عائداً. قال: إنه يقع في خَلَد أمير المؤمنين أنك جئتَ طالباً. قال: ما جئتُ إلا عائدًا. قال: قد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، واذهب فلا تأتنا لا طالباً ولا مُسلِّماً ولا عائدًا. فأخذها وانصرف. فلما مضت السنة أقبل، فقال له: ما جاء بك ياأزهر؟ قال: دُعاء كنت أسمعك تدعو به ياأمير المؤمنين، جِئت لأكتُبه. فضحك أبو جعفر وقال: إنه دعاء غير مُستجاب، وذلك أني قد دعوت الله تعالى به أن لا أراك، فلم يستجب لي، وقد أمرنا لك باثني عشر ألفاً، فاذهب وتعال متي شئتَ، فقد أعيتني فيك الحِيلة.

أقبل أعرابي إلى داود بن المُهلب، فقال له: إني مدحتك فاستمع. قال: على رِسلك، ثم دخل بيته وتقلد سيفه وخرج، فقال: قل فإن أحسنت حكّمناك، وإن أسأت قتلناك. فأنشأ يقول:

أمِنت بداودٍ وجُود يمينه ... من الحَدَث المَخشي والبؤس والفَقر
فأصبحتُ لا أخشى بداودَ نَبوةً ... من الحَدثان إذ شددت به أزري
له حُكم لُقمان وصورة يُوسف ... ومُلك سليمان وعدل أبي بكر
فَتىً تفرق الأموال من جُود كَفِّه ... كما يَفْرَقُ الشيطانُ من ليلة القَدْرِ

فقال: قد حكّمناك، فإن شئت على قدرك وإن شئت على قدري. قال: بل على قدري، فأعطاه خمسين ألفاً. فقال له جلساؤه: هلا احتكمت على قدر الأمير! قال: لم يك في ماله ما يَفي بقَدره. قال له داود: أنت في هذه أشعر منك في شعرك، وأمر له بمثل ما أعطاه.

الأصمعي قال: كنت عند الرشيد إذ دخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فأنشده:

وآمرة بالبُخل قلتُ لها اقصري ... فليس إلى ما تأمُرين سَبيل

فَعالي فعالُ المُكثرين تجمّلاً ومالي كما قد تعلمين قليل
فكيف أخاف الفقر أو أحرم الغِنَى ورأيُ أمير المؤمنين جميل

فقال له الرشيد: لله درّ أبيات تأتينا بها! ما أحسن أصولها، وأبين فصولها، وأقل فضولها! ياغلام، أعطه عشرين ألفاً. قال: والله لا أخذت منها درهما واحدا. قال: ولم؟ قال: لأن كلامك والله ياأمير المؤمنين خير من شعري. قال: أعطوه أربعين ألفاً. قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصيَد لدراهم الملوك منّي.

إبراهيم الشّيباني قال:

ولدت لأبي دُلامة ابنة ليلا، فأوقد السِّراج وجعل يخيط خريطة من شُقق[1]. فلما أصبح طواها بين أصابعه وغدا بها إلى المهدي فاستأذن عليه، وكان لا يُحجب عنه. فأنشده:

لو كان يَقعد فوق الشمس من كرم قومٌ لقيل اقعدوا ياآل عباس
ثم ارتقُوا من شعاع الشمس في دَرج إلى السماء فأنتم أكرمُ الناس

قال له المهدي: أحسنت والله أبا دُلامة! فما الذي غدا بك إلينا؟ قال: وُلدت لي جارية ياأمير المؤمنين. قال: فهل قلتَ فيها شعرًا؟ قال: نعم، قلت:

فما ولَدتك مريم أم عيسى ولم يَكفُلك لقمان الحكيمُ
ولكن قد تَضُمّك أمُّ سَوْءٍ إلى لبّاتها وأبٌ لئيم

قال: فضحك المهدي. وقال: فما تريد أن أعينك به في تربيتها أبا دلامة؟ قال: تملأ هذه ياأمير المؤمنين، وأشار إليه بالخريطة بين إصبعيه. فقال المهدي: وما عسى أن تحمل هذه؟ قال: من لم يَقنع بالقليل لم يقنع بالكثير. فأمر أن تملأ مالا. فلما نُشِرت أخذت عليهم صحن الدار، فدخل فيها أربعة آلاف درهم.

ولقي أبو دُلامة أبا دُلف في مَصادٍ، وهو والي العراق، فأخذ بعِنان فرسه وأنشد:

إنّي حلفت لئن رأيتُك سالمًا بقُرى العراق وأنت ذو وَفرِ
لتُصلين على النبي محمد ولتملأنّ دراهمًا حِجري

(١) الشقق: جمع شقة (بالضم). وهي من الثياب.

فقال: أما الصلاة على النبيّ، فنعم، ﷺ؛ وأما الدراهم، فلمّا نرجع إن شاء الله تعالى: قال له: جُعلت فِداك، لا تُفرق بينهما. فاستلفها له، وصُبت في حجره حتى أثقلته.

ودخل أبو دلامة على المهدي، فأنشده أبياتا أعجب بها، فقال له: سَلني أبا دُلامة واحتكم وأفرط ما شئت. فقال: ياأمير المؤمنين، كلب أصطاد به، قال: قد أمرنا لك بكلب؛ وهاهنا بَلغْتَ همَّتك، وإلى هاهنا انتهت أُمنيتك؟ قال: لا تعجل عليَّ ياأمير المؤمنين، فإنه بقي عليَّ. قال: وما بقي عليك؟ قال: غلام يقود الكلب. قال: وغلام يقود الكلب. قال: وخادم يطبخ لنا الصيد. قال: وخادم يطبخ الصيد. قال: ودار نسكنها. قال: ودار تسكنها. قال: وجارية نأوي إليها. قال: وجارية تأوي إليها، قال: قد بقي الآن المَعاش، قال: قد أقطعناك ألفي جَريب[1] عامرة، وألفي جريب غامرة. قال: وما الغامرة ياأمير المؤمنين؟ قال: التي لا تَعمر. قال: أنا أُقطع أمير المؤمنين خمسين ألفاً من فيافي بني أسد. قال: قد جعلتها كلها لك عامرة. قال: فيأذن لي أمير المؤمنين في تقبيل يده؟ قال: أما هذه فدعها. قال: ما منعتني شيئاً أيسر هي أمّ ولدي فقدًا منه.

ودخل أبو دُلامة على أبي جعفر المنصور يوماً وعليه قَلنسوة طويلة ـ وكان قد أخذ أصحابه بلبسها وأخذهم بلُبس دراريع عليها مكتوبٌ بين كتفي الرجل: ﴿**فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم**﴾[2] وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم ـ فدخل عليه أبو دلامة في ذلك الزِّي، فقال له: كيف أصبحت أبا دلامة؟ قال: بِشَر حال ياأمير المؤمنين. قال: كيف ذلك؟ ويلك! قال: وما ظَنك ياأمير المؤمنين بمن أصبح وجههُ في وسطه، وسيفه في أسته، وقد نبذ كتاب الله عز وجل وراء ظهره. قال: فضحك أبو جعفر، وأمر بتغيير ذلك، وأمر لأبي دُلامة بصِلة.

قدم رجلٌ على مَلك من ملوك الأكاسرة، فمكث ببابه حيناً لا يَصِل إليه، فتلطف في رُقعة أوصلها إليه، وفيها أربعةُ أسطر:

---

(١) الجريب من الأرض: ثلاثة آلاف وستمائة ذراع؛ وقيل: عشرة آلاف ذراع.

(٢) سورة البقرة آية ١٣٧.

في السطر الأول: الضُّر والأمل أقدماني عليك.

والسطر الثاني: الفقر لا يكون معه صبر على المطالبة.

والسطر الثالث: الانصراف بلا فائدة فتنة وشماتةٌ للعدو.

والسطر الرابع: فإما نَعَم مُثمرة، وإما لا مُريحةٌ.

فلما قرأها وقع تحت كل سطر منها بألف مثقال وأمر له بها.

ودخل رجل من الشعراء على يحيى بن خالد بن برمك فأنشده:

سألتُ الندى هل أنت حرٌّ فقال لا ... ولكنني عبدٌ ليحيى بن خالد

فقلتُ: شِراءً قال: لا بل وراثةً ... تَوارثَني عن والدٍ بعد والد

فأمر له بعشرة آلاف.

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري فأنشده:

أخالدُ إني لم أزرك لخَلَّةٍ ... سِوى أنّني عافٍ وأنت جوادُ

أخالدُ بين الحمد والأجر حاجتي ... فأيهما تأتي فأنت عِماد

فأمر له بخمسة آلاف درهم.

ومن قولنا في هذا المعنى. ودخلت على أبي العباس القائد فأنشدته:

الله جَرَّد للندى والباس ... سَيفاً فقلده أبا العبّاس

مَلِكٌ إذا استقبلتَ غُرة وَجهه ... قَبض الرجاء إليك رُوح اليَاس

وَجهٌ عليه من الحياءِ سكينةٌ ... ومحبة تجري مع الأنفاس

وإذا أحبّ الله يوماً عبده ... ألقى عليه محبَّة للناس

ثم سألته حاجة فيها بعض الغلظ فتلكأ فيها عليَّ، فأخذت سحاية[1] من بين يديه فوقعت فيها على البديهة:

ما ضرّ عندك حاجتي ما ضرَّها ... عُذراً إذا أعطيت نفسك قدرها

انظر إلى عرض البلاد وطولها ... أوَلستَ أكرم أهلها وأبرَّها

حاشا لجُودك أن يُوعِّر حاجتي ... ثِقتي بجُودك سّهلت لي وعرَها

---

(١) السحاية: القرطاس.

لا يجتني حُلو المحامد ماجدٌ حتى يذوقَ من المطالب مُرَّها

فقضى الحاجة وسارع إليها.

وأبطأ عبد الله بن يحيى[1] عن الديوان، فأرسل إليه المُتوكل يتعرّف خَبره، فكتب إليه:

عَليل من مَكانين من الإفلاس والدَّيْن
ففي هذين لي شُغل وحسبي شُغل هذين

فبعث إليه بألف دينار.

عبد الله بن منصور قال: كنت يوماً في مجلس الفضل بن يحيى. فأتاه الحاجب فقال: إن بالباب رجلاً قد أكثر في طلب الإذن، وزعم أن له يدًا يَمُتُّ بها. فقال: أدخله. فدخل رجلٌ جميلُ الوجه رثُّ الهيئة. فسلم فأحسن. فأومأ إليه بالجلوس، فجلس. فلما عَلِم أنه قد انطلق وأمكنه الكلامُ قال له: ما حاجتك؟ قال له: قد أعربت بها رثاثة هيئتي وضعفُ طاقتي. قال. أجل، فما الذي تمُت به؟ قال: ولادة تَقرُب من ولادتك، وجوار يدنو من جوارك، واسم مُشتق من اسمك. قال: أما الجوار فقد يُمكن أن يكون كما قلت، وقد يوافق الاسمُ الاسمَ، ولكن ما عِلمك بالولادة؟ قال: أعلمتني أمي أنها لما وضعتني، قيل: إنه وُلد الليلة ليحيى بن خالد غلام وسُمِّي الفضل، فسمتني فُضيلا، إعظاما لاسمك أن تُلحقني به. فتبسم الفضل وقال: كم أتى عليك من السنين؟ قال: خمسٌ وثلاثون سنة. قال: صدقت، هذا المِقدار الذي أتيت عليه، فما فعلت أمك؟ قال: تُوفيت رحمها الله. قال: فما منعك من اللحوق بنا فيما مضى؟ قال: لم أرضَ نفسي للقائك لأنها كانت في عامِّية وحداثةٌ تُقعدني عن لقاء الملوك. قال: ياغلام، أعطه لكل عام مضى من سنيه ألفاً، وأعطه من كُسوتنا ومراكبنا ما يصلح له. فلم يخرج من الدار إلا وقد طاف به إخوانه وخاصة أهله.

---

(١) هو عبد الله بن يحيى بن خاقان، وزير المتوكل.

وكتب حَبيب بن أوس الطائي إلى أحمد بن أبي دُؤاد:

اعلم وأنت المرءُ غير مُعلَّم ... وافهم - جعلتُ فداك - غير مُفهَّمِ
أن اصطناع العُرف ما لم تُوله ... مُستكملاً كالثوب ما لم يُعلَمِ
والشُّكر - ما لم يُستثر بصَنيعةٍ ... كالخَطّ تقرؤه وليس بمُعجمِ
وتفنني في القولِ إكثارٌ وقد ... أسرجتَ في كرم الفعال فألجمِ

وقال دِعبل بن عليّ الخزاعي في طاهر بن الحسين صاحب خراسان:

أيا ذا اليَمينين والدعوتين ... ومَن عنده العُرف والنَّائلُ
أترضى لمثليَ أنّي مُقيمُ ... ببابك مُطَّرَحٌ خامل
رضيتُ من الودّ والعائدات ... ومن كل ما أمَّل الآمل
بتسليمةٍ بين خَمسٍ وستّ ... إذا ضمَّك المجلسُ الحافل
وما كنتُ أرضي بذا من سِواك ... أيرضَى بذا رجلٌ عاقل
وإن ناب شُغل ففي دون ما ... تُدبِّره شغلٌ شاغل
عليك السلامُ فإنّي أمرؤ ... إذا ضاق بي بَلد راحل

الأصمعي قال:

ونظر زياد إلى رجلٍ من ضبة يأكل أكلا قَبيحاً، وهو أقبح الناس وجهاً، فقال: يا أخا ضَبة، كم عِيالُك؟ قال: سبع بنات أنا أجمل منهنَّ وجها، وهنَّ آكل منّي: فضحك زياد وقال: لله درُّك! ما ألطف سؤالك! افرضوا له ولكل واحدة منهن مائة وخادماً، وعجّلوا له ولهن أرزاقهم. فخرج الضَّبي وهو يقول:

إذا كنتَ مرتادَ السماحة والنَدَى ... فنادِ زياداً أو أخاً لزياد
يُجبك أمرؤ يعطي على الحمد ما لَه ... إذا ضنَّ بالمعروف كل جواد
وما لي لا أثني عليك وإنَّما ... طريفي من معروفكم وتلادي

الشيباني عن البُطين الشاعر قال:

قدمت على علي بن يحيى الأرمينيّ فكتبتُ إليه:

رأيتُ في النَوم أنّي راكبٌ فرساً ... ولي وصيفٌ وفي كفّي دنانيرُ

فقال قوم لهم حِذق ومَعرفة رأيت خيراً وللأحلام تَعبير
رُؤياك فسّر غدًا عند الأمير تجد تعبير ذاك وفي الفال التباشير
فجئتُ مستبشراً مستشعرًا فرحا وعند مثلك لي بالفعل تيسير

قال: فوقع لي في أسفل كتابي: أضغاث أحلام، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين. ثم أمر لي بكلّ شيء ذكرتهُ في أبياتي ورأيتُه في منامي.

الأخذ من الأمراء

حدَّثنا جعفر بن محمد عن يزيد بن سِمعان عن عبد الله بن ثَور عن عبد الحميد بن وَهب عن أبي الخلال، قال:

سألت عثمان بن عفان عن جائزة السلطان، فقال: لحم طَريّ زَكيّ.

جعفر بن محمد عن يحيى بن محمد العامريّ عن المُعتمر عن عِمران بن حُدير، قال:

انطلقت أنا ورجل إلى عكرمة، فرأى الرجل عليه عِمامة مُتخرقة. فقال الرجل: عندنا عمائمُ، ألا نبعث إليك بعمامة منها؟ قال عكرمة: إنَّا لا نقبل من الناس شيئاً، إنما نقبل من الأمراء.

قال هشام بن حسَّان:

رأيت على الحسن البصري خَميصة[1] لها أعلامٌ يصلي فيها، أهداها إليه مسلمة ابن عبد الملك.

وكان النبي ﷺ يلبس خُفين أسودين أهداهما إليه النجاشي صاحبُ الحبشة[2].

---

(١) الخميصة: كساء أسود مربع له علمان.

(٢) عن بريدة رضي الله عنه: «أن النجاشي أهدى للنبي ﷺ خفين أسودين ساذَجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليهما» رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني، انظر صحيح سنن الترمذي [٢٢٦١] وصحيح ابن ماجه [٢٩١٧].

وقال نافع: كان عبد الله بن عمر يقبل هدايا أهل الفتنة، مثل المختار وغيره.

ودخل مالك بن أنس على هارون الرشيد، فشكا إليه ديناً لزمه، فأمر له بألف دينار عين. فلما وضع يديه للقيام قال: ياأمير المؤمنين، وزوجت ابني محمدًا فصار علي فيه ألفُ دينار. قال: ولابنه ألف دينار.

فلقد مات مالك، وتركها زنته في مِزود.

وقال رجل لإبراهيم بن أدهم: ياأبا إسحاق، كنت أريد أن تقبل مني هذه الجُبة كسوة. قال: إن كنت غنياً قبلتها منك، وإن كنت فقيراً لم أقبلها منك. قال: فإني غني. قال: وكم مالك. قال: ألفا دينار. قال: فأنت تود أنها أربعة آلاف. قال: نعم. قال: فأنت فقير لا أقبلها منك.

وأمر إبراهيم بن الأغلب، المعروف بزيادة الله، بمال يُقسم على الفقهاء، فكان منهم من قَبِل، ومنهم من لم يقبل. فكان أسد بن الفرات فيمن قبل، فجعل زيادة الله يغمِص[1] على كل من قبل منهم: فبلغ ذلك أسد بن الفرات، فقال: لا عليه، إنما أخذنا بعض حقوقنا والله سائله عما بقي.

وقد فخرت العربُ بأخذ جوائز الملوك، وكان من أشرف ما يتمولونه، فقال ذو الرمة:

وما كان مالي من تُراثٍ ورثتُه ... ولا دِيَة كانت ولا كَسب مَأثَم
ولكن عطاءُ الله من كل رِحلة ... إلى كل محجوب السُّرادق خِضرم

وقال آخر: يهجو رجلاً ويعيبه بأخذه من العامّة، ويفخر بأنه لا يأخذ إلا من الملوك، فقال:

عَطايا أمير المؤمنين ولم تكن ... مُقسمة من هؤلاء وأولئكا
وما نِلتَ حتى شبت إلا عطيَّة ... تقوم بها مَصرورةً في ردائكا

---

(١) يغمص: يعيب.

تفضيل بعض الناس على بعض في العطاء

ذكر عمر بن الخطاب رضي الله عنه الفقراء، فقال: إن سعيد بن جذيم منهم. فأعطاه ألفَ دينار، وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا أعطيت فأَغْنِ[١].

وأعطى النبيّ ﷺ يوم حُنين المؤلَّفة قلوبهم، فأعطى الأقرع بن حابس التَّميمي وعُيينة بن حصن الفَزاري مائةً من الإبل، وأعطى العبَّاس بن مرداس السلمي خمسين، فشقَّ ذلك عليه، فقال أبياتاً، فأتاه بها وأنشده إياها، وهي:

أيذهبُ نَهبي ونَهبُ العُبـ ... ـيد[٢] بين عُيَينة والأقرعِ
ولا كان حِصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان مِرداسَ في مَجمَع
وما كنتُ غير أمريء منهمُ ... ومن تضع اليوم لم يرفع

فقال رسول الله ﷺ لبلال: **اقطع عنّي لسان العبَّاس**. فأعطاه حتى أرضاه[٣].

وقال صَفوان بنُ أمية: لقد غزوتُ مع رسول الله ﷺ، وما خَلَق الله خلقًا أبغض إليّ منه، فما زال يعطيني حتى ما خلق الله خلقاً أحب إليَّ منه. وكان صفوان بن أمية من المؤلفة قلوبُهم[٤].

---

(١) جاء في قول عمر رضي الله عنه: «إذا أعطيتم فأغنوا». قال الألباني: ضعيف أخرجه أبوعبيد في الأموال (١٧٧٦) من طريق عمرو بن دينار وإسناده ضعيف منقطع، فعمرو بن دينار ولد بعد وفاة عمر رضي الله عنه. انظر تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ـ ص٤٧/ المكتب الإسلامي ـ الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

(٢) العبيد: اسم فرس عباس بن مرداس.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة «باب إعطاء المؤلفة قلوبهم ومن يخاف على إيمانه» دون قوله: «اقطع عني لسانه» وفيه بعد الأبيات: «فأتم له المائة» مسلم شرح النووي ٧/ ١٥٥.

(٤) أخرجه مسلم بنحوه في كتاب الفضائل.

شكـــر النعمـــة

سليمان التَّميمي [١] قال:

إن الله أنعم على عباده بقَدر قُدرته. وكلّفهم من الشكر بقدر طاقتهم.

وقالوا: كُفر النعمة يُوجب زوالها، وشُكرها يوجب المزيد فيها.

وقالوا: مَن حمدكَ فقد وفَّاك حقَّ نعمتك.

وجاء في الحديث: «**مَن نشر معروفاً فقد شكره، ومن ستره فقد كَفره**» [٢].

وقالوا: إذا قَصُرَت يدك عن المكافأة. فليطُل لسانك بالشُّكر.

وقالوا: ما نَحَلَ الله تعالى عباده شيئاً أقل من الشكر، واعتبر ذلك بقول الله عز وجل: ﴿**وقليلٌ من عبادي الشكور**﴾ [٣].

وقال النبي ﷺ: «**ما أنعم الله على عبده نِعمة فرأى عليه أثرها إلا كتب: حبيب الله شاكرًا لأنعمه، وما أنعم الله على عبده نعمة فلم يَر أثرها عليه إلا كتب: بغيض الله كافرًا لأنعمه**» [٤].

---

(١) هو سليمان بن عبد الرحمن بن عيسى بن ميمون التميمي الدمشقي أبو أيوب، ابن بنت شرحبيل ابن مسلم الخولاني ولد سنة ١٥٣هـ وكانت وفاته سنة ٢٣٢هـ.

(٢) قال ﷺ: «**من أُبلي بلاءً فذكره، فقد شكره وإن كتمه فقد كفره**» رواه أبو داود والضياء عن جابر وصححه المناوي في فيض القدير (٨٢٨٢) والألباني في صحيح الجامع (٥٨٠٩) والصحيحة (٦١٨).

(٣) سورة سبأ آية رقم ١٣.

(٤) بحثت عن هذا الحديث ولم أجد ما يثبته ويغني عنه قوله ﷺ: «**إن الله عز وجل إذا أنعم على عبد نعمة أحب أن ترى عليه**» أخرجه الإمام أحمد، قال الألباني: وإسناده صحيح على شرط مسلم وله شاهد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن يُرى أثر نعمته على عبده**». أخرجه الترمذي (٢/ ١٣٤) وقال حديث حسن. انظر غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ص٦٣/ المكتب الإسلامي الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

وكتب عديّ بن أرطأة إلى عمر بن عبد العزيز: إني بأرض كثرت فيها النِّعم وقد خفت علي من قبلي من المسلمين قلّة الشكر والضعف عنه. فكتب إليه عمر رضي الله عنه: إن الله تعالى لم يُنعم على قوم نعمة فحمدوه عليها إلا كان ما أعطوه أكثر مما أخذوا. واعتبر ذلك لقول الله تعالى: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علماً وقالا الحمد لله الذي فضلنا**﴾[1]. فأي نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان.

وسمع النبي ﷺ عائشة رضي الله عنها تُنشد أبيات زُهير بن جَناب:

ارفَع ضعيفك لا يحُر بك[2] ضَعفه ... يوماً فتدركه عواقبُ ما جَنَى
يجزيك أو يُثني عليك فإن من ... أثنى عليك بما فعلت كمن جَزَى

فقال النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**صدق ياعائشة، لا شكر الله من لا يشكر الناس**»[3].

الخُشَنيّ[4] قال: أنشدني الرياشيّ:

إذا أنا لم أشكر على الخَير أهلَه ... ولم أذمُم الجبس[5] اللئيم المُذمَّما
ففيم عرفتُ الخير والشكر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما

وأنشدني في الشكر:

ساشكر[6] عَمْرًا[7] ماتراخت منيَّتي ... أيادي لم تُمنن وإن هي جَلَّتِ
فَتىً غير مَحجوب الغنَى عن صديقة ... ولا مُظهِرَ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ
رأى خَلّتي من حيث يخفى مكانُها ... فكانت قَذى عينيه حتى تجلت

---

(١) سورة النمل آية ١٥.

(٢) لا يحر: لا يرجع.

(٣) «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**» رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه الألباني انظر: (صحيح الجامع ٧٥٩٦) وانظر (الصحيحة ٤١٧) المكتب الإسلامي.

(٤) الخشني: هو محمد بن عبد السلام الخشني أبو عبد الله.

(٥) الجبس (بالكسر): الجبان واللئيم.

(٦) العرب تستعمل السين إذا أرادت تكرار الفعل وتأكيده.

(٧) هو عمر بن عثمان بن عفان، وهذا الشعر لعبدالله بن الزبير (بفتح الزاي) من شعراء الدولة الأموية.

قلة الكرام في كثرة اللئام

قال النبي ﷺ: «**الناس كإبل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة**»(١).

وقالت الحكماء: الكِرَام في اللئام كالغُرَّة في الفرس.

وقال السَّموأل:

تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عديدنا ... فقلت لها إن الكرام قليلُ

وما ضرّنا أنّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكثرين ذليل

وقال حبيب:

ولقد تكون ولا كريم ننالُه ... حتى نَخُوض إليه ألفَ لئيمِ

وقال دِعبل:

ما أكثر الناس لابَل ما أقلهمُ ... والله يعلم أنّي لم أقُل فَنَدَا

إني لأُغلق عيني ثم أفتحها ... على كَثيرٍ ولكن ما أرى أحدا

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قولُ حبيب الطائي:

إنّ الجياد كثيرٌ في البلاد وإن ... قَلُّوا كما غيرُهم قُلٌّ وإن كَثُروا

لا يدهمنّك من دهمائهم عَجبٌ ... فإنَّ جُلَّهم أو كلَّهمُ بقر

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة**». انظر صحيح مسلم/كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ [٧/١٩٢] ورواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

والراحلة: البعير الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار. وسميت راحلة لأنها ترحل أي يجعل عليها الرحل. وقال الأزهري في معنى هذا الحديث أن الزاهد في الدنيا، الكامل الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جدًا كقلة الراحلة في الإبل.

وقال آخرون: إن معناه أن مرضيّ الأحوال من الناس الكامل الأوصاف قليل فيهم كقلة الراحلة في الإبل. انظر صحيح مسلم ج٤ كتاب فضائل الصحابة تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

وكلما أضحت الأخطار بينهمُ ... هَلكى تَبين من أضحى له خَطر
لو لم تُصادفْ شياتُ البَهم أكثر ما ... في الخيل لم تُحمد الأوضاح والغُرَر[١]

من جاد أولاً وضنَّ آخرًا

نزل أعرابيٌّ برجل من أهل البَصرة، فأكرمه وأحسن إليه، ثم أمسك. فقال الأعرابي:

تَسرَّى فلما حاسَبَ المرءُ نفسَه ... رأى أنه لا يستقرُّ له السَّرْوُ[٢]

وكان يزيد بن منصور يُجري لبشار العُقيلي وظيفةً في كل شهر، ثم قطعها عنه فقال:

أبا خالد ما زلتَ سابحَ غَمرَةٍ ... صغيرًا فلما شِبت خيّمت بالشاطِي[٣]
جريتَ زماناً سابقاً ثم لم تزل ... تأخّرُ حتى جئت تقطو مع القاطي[٤]
كسِنَّور عبد الله[٥] بيع بدِرهم ... صَغيراً فلما شَبَّ بيع بِقيراط

وقال مُسلم بن الوليد صريع الغواني لمحمد بن منصور بن زياد:

أبا حَسنٍ قد كنت قدَّمت نعمةً ... وألحقتُ شُكرًا ثم أمسكت وانيا
فلا ضَيرَ لم تَلحقك منّي مَلامةٌ ... أسأت بنا عَوداً وأحسنتَ باديا
فأُقسم لا أجزيك بالسّوء مثلَه ... كَفى بالذي جازيتَني لك جازيا

---

(١) الشيات: جمع شية، وهي سواد في بياض أو بياض في سواد. والأوضاح، جمع وضح، وهو التحجيل في القوائم. والغرر: جمع غرة، وهو بياض في الجبهة.

(٢) تسرى تكلف السرو، وهو المروءة في شرف.

(٣) خيم: أقام.

(٤) القاطي: الثقيل المشي، أو الذي يقارب في مشيه.

(٥) سنور عبد الله يضرب مثلا لمن يكون مرجواً في صغره فإذا كبر تراجع ولم يفلح.

من ضن أولاً ثم جاد آخراً

قدم الحارث بن خالد المَخزوميّ على عبد الملك فلم يصِله، فرجع وقال فيه:

صحبتُـك إذ عَيني عليهـا غِشـاوةٌ فلما انجلَت قطَّعتُ نفسي ألـومُها
حَبَستُ عليـك النفسَ حتى كأنـما بكَـفّيـك يَجرى بُؤسهـا ونَعيمهـا

فبلغ قولُه عبد الملك، فأرسل إليه فردّه، وقال: أرأيتَ عليك غَضاضة من مقامك ببابي؟ قال: لا، ولكني اشتقت إلى أهلي ووطني، ووجدت فضلاً من القول فقلت: وعلىّ دَين لزمني. قال: وكم دَينك؟ قال: ثلاثون ألفاً. قال: فقضاء دينك أحبّ إليك أم ولاية مكة؟ قال: بل ولاية مكة. فولاه إياها.

وقدم الحطيئةُ المدينة فوقف إلى عُتَيبة بن النَّهّاس العجليّ فقال: أعطني. فقال: مالك عندي فأُعطيَكه، وما في مالي فضل عن عيالي، فأعودَ به عليك. فخرج عنه مُغضباً. وعرّفه به جلساؤه، فأمر برده، ثم قال له: ياهذا إنك وقفت إلينا فلم تستأنس ولم تسلم، وكتمتنا نفسك، كأنك الحُطيئة؟ قال: هو ذلك. قال: اجلس، فلك عندنا كل ما تُحب. فجلس، فقال له: من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول:

ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضه يَفِـره[1] ومـن لا يتَّق الشتمَ يُشتَمِ

يعنى زُهيرا: قال: ثم من؟ قال: الذي يقول:

من يَسـأل الـنـاسَ يحرمـوه وسـائـلُ الله لا يَخيـبُ

يعني عَبيداً. قال: ثم من؟ قال: أنا.

فقال لوكيله: خُذ بيد هذا فامضِ به إلى السوق، فلا يُشيرنّ إلى شيء إلا اشتريته له، فمضى معه إلى السوق، فعرضَ عليه الخز والقَز، فلم يلتفت إلى شيء منه وأشار إلى الأكسية والكـرابيس[2] الغِـلاظ والأقبية. فاشـترى له منهـا حاجته، ثم قال:

---

(١) يفره: يوفره.

(٢) الكرابيس: جمع كِرْبـس (بالكسر). وهو ثوب غليظ من القطن الأبيض، معرب.

أمسك. قال: فإنه قد أمرني أن أبسط يدي بالنفقة، قال: لا حاجة في أن يكون له على قومي يَدٌ أعظم من هذه، ثم أنشأ يقول:

سُئِلتَ فلم تَبخل ولم تُعطِ طائلاً ... فسِيّانِ لاذَمٌ عليك ولا حَمد
وأنت أمرؤ لا الجودُ منك سَجيَّة ... فتُعطي وقد يُعدِي[1] على النائِل الوُجد

من مدح أميراً فخيبه

قال سَعيد بن سَلم[2]: مدحني أعرابيٌّ فأبلغ، فقال:

ألا قُل لساري اللَّيل لا تَخش ضِلّة ... سعيدُ بن سَلم نورُ كل بلادِ
لنا سيّد أربَى على كلّ سيّد ... جوادٌ حَثَا في وجه كلّ جواد[3]

قال: فتأخرتُ عنه قليلا. فهجاني فأبلغ، فقال:

لكلّ أخي مَدح ثوابٌ علمتهُ ... وليس لمدح الباهلي ثوابُ
مَدحتُ سعيدًا والمديحُ مَهزَّةٌ ... فكان كصَفوان[4] عليه تُراب

ومدح الحسنُ بن رجاء أبا دُلف فلم يُعطه شيئاً، فقال:

أبا دُلف ما أكذبَ الناس كلّهم ... سِوايَ فإني في مَديحك أكذب

وقال آخر في مثل هذا المعنى:

إني مدحتُك كاذباً فأثبتني ... لمّا مدحتُك ما يُثاب الكاذِبُ[5]

وقال آخرُ في مثل هذا المعنى:

لئن أخطأتُ في مَدحي ... ك ما أخطأتَ في مَنْعِي

---

(١) يعدى: يعين. والوجد: اليسار والسعة.

(٢) هو سعيد بن مسلم بن قتيبة.

(٣) يريد: حثا التراب في وجوه الأجواد. وذلك كناية عن تقصيرهم عنه في العطاء شبهه فالجواد السابق الذي يثير الغبار في وجوه الخيل اللاحقة.

(٤) الصفوان: الحجر الصلد الأملس لا ينبت شيئاً.

(٥) ما يثاب الكاذب: أي ثواب الكاذب.

لقـد أحـللتُ حاجـاتي بـوادٍ غيـرِ ذي زَرع

ومَدح حبيبٌ الطائي عياش بن لَهيعة، وقدِم عليه مصر، واستسلفه مائتي مِثقال. فشاور فيها زوجته، فقالت له: هو شاعر يَمدحك اليوم، ويهجوك غدًا، فاعتلَّ عليه واعتذرَ إليه ولم يقض حاجتَه. فقال فيه:

عيّـاش إنـك للئـيـم وإنّـني مُذ صِرتَ موضـع مطلبي للئيـمُ

ثم هجاه حتى مات. وهجاه بعد موته.

ومن قولنا في هذا المعنى، سألت بعض موالي السلطان إطلاق محبوس فتلكّأ فيه، فقلت:

حاشـا لِمثـلك أن يَفُـكّ أسـيرا أو أن يكـون من الـزمـان مُجيرا
لَبست قوافي الشعـر فيـك مَدارعـاً سُوداً وصَكَّت أوجُـهـاً وصُـدورا
هَلّا عَطفـت برحمـة لَّما دَعَـت ويـلاً عليـك مدائحي وثُبـورا
لو أن لُؤمـك عادَ جُوداً عُشرُه ما كان عنـدك حاتـمٌ مذكـوراً

قال: ومدح ربيعة الرّقّي يزيدَ بن حاتم الأزديّ، وهو والي مصر فاستبطأه ربيعة. فشخص عنه من مصر وقال:

أُراني ـ ولا كُفْـران لله ـ راجـعـاً بخُـفي حُنـين من نَوال ابن حاتمِ

فبلغ قولُه يزيد بن حاتم. فأرسل في طلبه، فرُد إليه فلما دخل عليه قال له: أنت القائل:

أُرانـي ولا كُفـران لله راجعـًا

قال: نعم؛ قال: فهل قلتَ غير هذا؟ قال: لا والله؛ قال: لترجعنَّ بخُفي حُنين مملوءة مالا، فأمر بخَلْع نَعليه، ومُلئت له مالا. فقال فيه لما عُزل عن مصر ووُلِّيَ يزيد ابن أسيد السُّلمي[1] مكانه:

بكى أهـل مصر بالدموع السواجم غداةً غَدا منهـا الأغـرُّ ابنُ حاتمِ

(١) وهو يزيد بن أسيد (بضم الهمزة) بن زفر بن أسماء بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة.

أجواد أهل الجاهلية

الذين انتهى إليهم الجُود في الجاهلية ثلاثة نفر: حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، وهَرم بن سِنان المُرِّي، وكعب بن مامةَ الإيادي.

ولكن المضروب به المثل: حاتم وحده، وهو القائل لغلامه يَسار، وكان إذا اشتد البرد وكَلِب الشتاء أمر غلامه فأوقد نارًا في يَفاع[١] من الأرض لينظُر إليها مِن أضلَّ الطريق ليلاً فيَصمِد نحوه، فقال في ذلك:

أوقِد فإن الليلَ ليلٌ قَرُّ ... والريحَ يامُوقِد ريحٌ صِرُّ
عسى يَرى نارَكَ من يَمُرّ ... إن جلبتْ ضيفاً فأنت حُرّ

ومَرَّ حاتم في سَفرِه على عَنَزة، وفيهم أسير. فاستغاث بحاتم ولم يحضُره فَكاكه، فاشتراه من العنزيين وأطلقه، وأقام مكانَه في القَيد حتى أدّى فِداءه وقالوا: لم يكن حاتم ممسكا شيئاً ما عدا فرسَه وسلاحَه، فإنه كان لا يجود بهما.

وقالت نَوار امرأة حاتم: أصابتْنا سنة، اقشعرَّت لها الأرض، واغبرَّ أفق السماء، وراحت الإبل حُدبا حدابير[٢] وضنّت المراضع على أولادها فما تَبضّ بقطرة، وحلَقت[٣] السنة المال وأيقنا بالهلاك. فوالله إنّا لفي ليلة صِنَّبر[٤]، بعيدةِ ما بين الطَّرفين، إذ تضاغى[٥] صِبيتنا جُوعا، عبد الله وعديّ وسَفّانة، فقام حاتم إلى الصبيَّين، وقمت أنا إلى الصبيَّة، فوالله ما سكتوا إلا بعد هدأة من الليل، وأقبل يعلّلني بالحديث، فعرفتُ مايريد فتناومتُ، فلما تَهوّرت[٦] النجوم، إذا شيء قد رفع

---

(١) اليفاع (كسحاب): التل.

(٢) الحدابير: جمع حدبار وحدبير (بالكسر فيهما)، وهي الناقة الضامرة.

(٣) أي أهلكته واستأصلته.

(٤) صنبر: شديدة البرد.

(٥) تضاغى: صاح.

(٦) تهورت: ذهبت وولت.

كِسر[١] البيت ثم عاد؛ فقال: من هذا؟ قالت: جارتُك فلانة، أتيتُك من عند صبية يتعاوون عُواء الذئاب، فما وجدتُ معوِّلا إلا عليك ياأبا عديّ. فقال: أعجليهم فقد أشبعك الله وإياهم. فأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي جانبيها أربعة، كأنها نعامة حولها رئالها. فقام إلى فرسه فوجأ لَبّته بمدية فخر، ثم كشطه عن جلده، ورفع المدية إلى المرأة، فقال لها: شأنَك. فاجتمعنا على اللحم نشوي ونأكل، ثم جعل يمشي في الحي يأتيهم بيتاً بيتاً، فيقول: هُبُّوا أيها القوم عليكم بالنار، فاجتمعوا والتفع في ثوبه ناحية ينظر إلينا، فلا والله إن ذاق منه مُزعه[٢]، وإنه لأحوج إليه منا، فأصبحنا وما على الأرض من الفرس إلا عظم وحافر، فأنشأ حاتم يقول:

مَهـلاً نَوار أقـلي الـلومَ والعَـذَلا ... ولا تقُـولي لشيء فاتَ ما فَعـلا
ولا تقـولي لمالٍ كنـتُ مُهـلكَـه ... مهلاً وإن كنت أُعطى الإنس والخَيلا[٣]
يرى البخيـلُ سبيلَ المال واحـدة ... إنَّ الجـواد يرى في مالـه سُبـلا

ورُئي حاتم يوماً يضرب ولَده لما رآه يضرب كَلبة كانت تدل عليه أضيافه، وهو يقول:

أقـول لابـني وقـد سُطتُ يديـه ... بكَـلبـة لا يزال يَجلِدُهـا
أوصِـيـك خيراً بها فإن لها ... عنـدي يداً لا أزال أحمـدهـا
تَدُل ضَيـفـي عليَّ في غَلَس الْـ ... ـلَيـل إذا الـنـار نام موقِـدهـا

ولحاتم بن عبد الله أيضا:

أمـاويّ قد طال الـتجنُّبُ والهَجـر ... وقـد عَذَرتنـا عن طِلابكم العُـذرُ
أمـاويّ إنّ المـال غادٍ ورائـحٌ ... ويَبقى من المال الأحاديثُ والذِّكر
أمـاويَّ إمـا مانـع فمُـبـيِّنٌ ... وإمـا عَطاء لا ينهـنهـه الـزَّجـر
أمـاويَّ إنـي لا أقـول لسـائِـل ... إذا جاء يومـاً حَل في ماليَ النَّـذْرُ

---

(١) يريد الشقة السفلى من الخباء.

(٢) المزعة (بالضم والكسر): القطعة من اللحم.

(٣) الخيل: الجن.

أماويّ ما يُغني الثراءُ عن الفتى ... إذا حَشرجت يوما وضاق بها الصدر
تَري أن ما أنفقت لم يك ضرني ... وأن يدي مما بخلت به صفر
وقد يَعلم الأقوام لو أن حاتما ... أراد ثراءَ المال كان له وَفر

وأمّا هرم بن سنان فهو صاحب زهير الذي يقول فيه:

متى تُلاق على عِلاّته هرماً ... تَلقَ السماحة في خَلْق وفي خُلُق

وكان سنانٌ أبو هرم سيد غطفان، وماتت أمه وهي حامل به، وقالت: إذا أنا مِتُ فشُقوا بطني فإن سيد غطفان فيه. فلما ماتت شَقُّوا بطنَها فاستخرجوا منه سِنانا. وفي بني سِنان يقول زهير:

قومٌ أبوهم سِنانٌ حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما وَلَدُوا
لو كان يقعد فوق الشمس من كَرم ... قومٌ بأوّلهم أو مَجدهم قَعدوا
جِنٌّ إذا فَزعوا إنْسٌ إذا أمِنُوا ... مُرزّءون بَهاليلٌ إذا قُصِدوا
مُحسّدون على ما كان من نِعم ... لا ينزع الله منهم ما له حُسِدوا

وقال زُهير في هرم بن سِنان:

وأبيضَ فيّاض يداه غَمامةٌ ... على مُعتَفيه ما تُغبّ نوائله[1]
تراه إذا ما جِئته مُتهلّلاً ... كأنك تُعطيه الذي أنت سائله

وقال زهير في هرم بن سنانٍ وأهل بيته:

إليك أعملتُها فُتلا مَرافقُها ... شَهرين يَجهض من أرحامها العَلَق[2]
حتى دفَعن إلى حُلو شمائلُه ... كالغيث يَنبُت في آثاره الوَرق
المُطعمون إذا ما أزمةٌ أزمَت ... والطيبون ثِيابًا كلّما عَرقوا
كأنّ آخرهم في الجُود أوّلهم ... إن الشمائل والأخلاق تتفق

وقال فيهم أيضاً:

وفيهم مَقامات حِسَانٌ وجوهُهم ... وأندية يَنتابها القَول والفِعْلُ

---

(١) ما تغب: ما تتقطع.
(٢) العلق: الدم الجامد.

على مُكثريهم حق من يعتفيهم ... وعند المُقلين السماحةُ والبَذل
فما كان من خَير أتوه فإنما ... توارثه آباءُ آبائهم قَبْلُ
وهل يُنبت الخَطِّيَ إلا وَشيجُه ... وتُغرَسُ إلا في مَنابتها النَّخل

وأما كعب بن مامةَ الإياديّ، فلم يأت عنه إلا ما ذكر من إيثاره رفيقه النَّمَري بالماء حتى مات عطشا ونجا النمريّ، وهذا أكثر من كل ما أثنى لغيره وله يقول حبيب:

يجودُ بالنّفس إن ضَنَّ البَخيلُ بها ... والجودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُودِ

وله ولحاتم الطائي يقول:

كعبٌ وحاتمٌ اللذان تقسَّما ... خطط العُلا من طارف وتَليدِ
هذا الذي خَلَف السحابَ ومات ذا ... في المجد مِيتة خِضرم[1] صِنديد

أجواد أهل الإسلام

وأما أجواد أهل الإسلام فأحدَ عشر رجلاً في عصر واحد لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلُهم[2].

فأجواد الحجاز ثلاثة في عصر واحد: عُبيد الله بن العباس، وعبد الله بن جعفر، وسعيد بن العاص.

وأجواد البصرة خمسة في عصر واحد، وهم: عبد الله بن عامر بن كُريز وعُبيد الله ابن أبي بكرة، مولى رسول الله ﷺ ومسلم بن زيادة، وعُبيد الله بن مَعمر القُرشي، ثم التَّمي، وطلحة الطلحات، وهو طلحة بن عبد الله بن خلف الخُزاعيّ، وله يقول

---

(١) الخضرم: الكريم.

(٢) أجودهم محمد عليه الصلاة والسلام ومن الصحابة رضوان الله عليهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعثمان بن عفان رضي الله عنه فعن أنس رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ أجمل الناس وجها وأجودهم كفا واشجعهم قلبا» متفق عليه.

الشاعر يرثيه، ومات بسجستان وهو والٍ عليها:

نَضَّر الله أعظُماً دَفنوها بسجستان طلحةَ الطلحاتِ

وأجواد أهل الكوفة ثلاثة في عصر واحد، وهم: عتّاب بن ورقاء الرِّياحي وأسماءُ ابن خارجة الفَزَارى. وعكرمة بن ربعي الفَيّاض.

فمن جود عبيد الله بن عباس

أنه أول من فَطّر جيرانَه، وأول من وضع الموائد على الطرق، وأول من حَيَّا على طعامه، وأول من أنهبَه، وفيه يقول شاعر المدينة:

وفي السَّنة الشَّهباء أطعمت حامضًا وحُلواً ولحماً تامكاً ومُمزَّعا[1]

وأنت ربيعٌ لليتامى وعِصمةٌ إذا المَحلُ من جَوِّ السماء تَطَلَّعا

ومن جوده: أنه أتاه رجل وهو بفِناء داره، فقام بين يديه فقال: يابن عباس، إنّ لي عندك يدًا، وقد احتجتُ إليها. فصعَّد فيه بصرهَ وصوَّبه، فلم يعرفه، ثم قال له: ما يدُك عندنا؟ قال رأيتُك واقفاً بزَمزم وغُلامُك يَمتح[2] لك من مائها، والشمس قد صَهرتك، فظلّلتك بطَرف كسائي حتى شَربت قال: إنى لأذكر ذلك، وإنه يتردد بين خاطري وفِكري، ثم قال لقيِّمه: ما عندك؟ قال: مائتا دينار وعشرة آلاف دِرهم؛ قال فادفعها إليه وما أُراها تَفِي بحق يده عندنا. فقال له الرجل: والله لو لم يكن لإسماعيل ولدٌ غيرُك لكان فيه ما كفاه فكيف وقد ولد سيّد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ، ثم شَفَعه بك وبأبيك.

ومن جوده أيضاً: أن الحُسين بن علي ضاقت عليه حاله. فقيل له: لو وَجهت إلى ابن عمك عُبيد الله، فإنه قد قدم بنحو من ألف ألف دِرهم. فقال الحُسين: وأين تقع ألف ألف من عُبيد الله، فوالله لهو أجود من الريح إذا عصفت، وأسخى من البحر إذا زخر. ثم وجه إليه مع رسوله بكتاب ذكر فيه ضِيقَ حاله، وأنه يحتاج إلى

---

(١) السنة الشهباء: التي لا خضرة فيها ولا مطر. وتامكا: مكتنزا. ومزعاً: مقطعا مفرقا.

(٢) المتح: الاستقاء.

مائة ألف درهم. فلما قرأ عبيد الله كتابه، وكان من أرق الناس قلباً وألينهم عطفا، انهملت عيناه، ثم قال: لقهرمانه: احمل إلى الحُسين نصفَ ما أملكه من فضة وذهب وثوب ودابّة، وأخبره أني شاطرته مالي، فإن أقنعه ذلك وإلا فارجع واحمل إليه الشَّطر الآخر؛ فقال له القَيِّم: فهذه المؤن التي عليك من أين تقوم بها؟ قال: إذا بلغنا ذلك دللتُك على أمر يُقيم حالك. فلما أتى الرسولُ برسالته إلى الحسين، قال: إنّا لله حملت والله على ابن عمي وما حسبته يتسع لنا بهذا كله؛ فأخذ الشطر من ماله. وهو أول من فعل ذلك في الإسلام.

ومن جوده: أن معاوية بن أبي سفيان أهدى إليه وهو عنده بالشام من هدايا النِّيروز حُللا كثيرة ومِسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها مع حاجبه، فلما وضعها بين يديه نظر إلى الحاجب وهو ينظر إليها، فقال: هل في نفسك منها شيء؟ قال: نعم والله، إنّ في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليهما السلام؛ فضحك عُبيد الله، وقال: فشأنك بها فهي لك. قال: جُعلت فداك، أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيجد عليّ. قال: فاختمها بخاتمك وادفعها إلى الخازن فإن حان خروجنا حملها إليك ليلاً. فقال الحاجب: والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم ولوددتُ أنِّي لا أموت حتى أراك مكانه ـ يعني معاوية ـ فظنّ عبيد الله أنها مكيدة منه، قال: دع عنك هذا الكلام فإنا قوم نَفِي بما وَعدنا، ولا ننقض ما أكَّدنا.

ومن جوده أيضا: أنه أتاه سائل وهو لا يعرفه، فقال له: تصدَّق، فإني نُبئت أن عبيد الله بن عباس أعطى سائلاً ألف درهم واعتذر إليه؟ فقال له: وأين أنا من عبيد الله؟ قال أين أنت منه في الحسب أم كثرة المال؟ قال: فيهما؛ قال: أما الحسب في الرجل، فمرُوءته وفِعله، وإذا شئت فعلت، وإذا فعلت كنت حسيباً، فأعطاه ألفي درهم واعتذر له من ضيق الحال؛ فقال له السائل: إن لم تكن عُبيد الله بن عباس فأنت خيرٌ منه، وإن كنت هو فأنت اليوم خيرٌ منك أمس؛ فأعطاه ألفاً أخرى. فقال السائل: هذه هِزَّة كريم حسيب، والله لقد نقرتُ حبة قلبي فأفرغتها في قلبك، فما أخطأت إلا باعتراض الشك بين جوانحي.

ومن جوده أيضا: أنه جاءه رجل من الأنصار فقال: يابن عم رسول الله ﷺ، إنه

وُلد لي في هذه الليلة مولود، وإني سمّيته باسمك تبرُّكا منيّ به، وإن أمّه ماتت. فقال عُبيد الله: بارك الله لك في الهِبة، وأجزل لك الأجر على المُصيبة، ثم دعا بوكيله، فقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع إليه مائتي دينار للنّفقة على تربيته، ثم قال للأنصاري: عُد إلينا بعد أيام فإنك جِئتنا وفي العيش يُبس وفي المال قِلة. قال الأنصاري: لو سبقت حاتما بيوم واحد ما ذكرته العرب أبدًا، ولكنه سَبقك، فصِرت له تالياً، وأنا أشهد أن عَفوك أكثر من مجهوده، وطَلّ كرمك أكثر من وابله.

جود عبد الله بن جعفر

ومن جود عبد الله بن جعفر أن عبد الرحمن بن أبي عمّار دخل على نخّاس يعرض قيانا له، فعلق واحدة منهن، فشُهِر بذكرها حتى مشى إليه عطاء وطاووس ومجاهد يعذلونه، فكان جوابه أن قال:

يلومني فيكِ أقوامٌ أجالسهم ... فما أُبالي أطار اللّومُ أم وَقَعا

فانتهى خبره إلى عبد الله بن جعفر، فلم يكن له هَمّ غيره، فحجّ فبعث إلى مولى الجارية، فاشتراها منه بأربعين ألف درهم، وأمر قَيّمة جواريه أن تُزيّنها وتحليها، ففعلت. وبلغ الناسَ قدومُه فدخلوا عليه، فقال: مالي لا أرى ابن أبي عمّار زارنا! فأُخبر الشيخ، فأتاه مسلِّما. فلما أراد أن يَنهض استجلسه ثم قال: ما فَعل حُب فلانة؟ قال: في اللحم والدم والمُخ والعَصب. قال: أتعرفها لو رأيتها؟ قال: لو أدخلتُ الجنةَ لم أنكرها فأمر بها عبد الله أن تخرج إليه وقال له: إنما اشتريتها لك، ووالله ما دنوت منها، فشأنك بها، مُباركاً لك فيها. فلما وَلّى، قال ياغلام، احمل معه مائة ألف درهم ينَعم بها معها. قال: فبكى عبد الرحمن فرحا، وقال: يأهل البيت، لقد خصَّكم الله بشرف ما خصّ به أحداً قبلكم من صُلب آدم، فتهنئكم هذه النعمة، وبورك لكم فيها.

ومن جوده أيضا: أنه أعطى امرأة سألته مالاً عظيما. فقيل له: إنها لا تعرفك.

وكان يُرضيها اليسير. قال: إن كان يُرضيها اليسير فإني لا أرضى بالكثير، وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي.

جود سعيد بن العاص

ومن جود سعيد بن العاص: أنه مرِض وهو بالشام، فعاده مُعاوية ومعه شُرحبيل ابن السمط ومُسلم بن عقبة المُرِّي، ويزيد بن شجرة الرّهاويّ، فلما نظر سعيدٌ معاويةَ وثب عن صدر مجلسه إعظاما لمعاوية، فقال له معاوية: أقسمت عليك أبا عثمان أن لا تتحرك، فقد ضَعُفت بالعلة، فسقط، فتبادر مُعاوية نحوه حتى حَنا عليه وأخذ بيده، فأقعده على فراشه وقعد معه، وجعل يسائله عن علته ومنامه وغذائه، ويصف له ما ينبغي أن يتوقاه، وأطال القعود معه. فلما خرج التفت إلى شرحبيل بن السِّمط، ويزيد بن شجرة، فقال: هل رأيتما خَللا في مال أبي عُثمان؟ فقالا: ما رأينا شيئاً نُنكره. فقال لمُسلم بن عُقبة: ما تقول؟ قال: رأيت. قال: وماذاك؟ قال: رأيت على حَشمه ومواليه ثياباً وَسخة ورأيت صحن داره غير مكنوس، ورأيت التجار يُخاصمون قهرمانه. قال: صدقت، كل ذلك قد رأيته، فوجّه إليه مع مسلم بثلاثمائة ألف. فسبق رسولٌ يُبشره بها ويخبره بما كان، فغضب سعيد، وقال للرسول: إن صاحبك ظن أنه أحسن فأساء، وتأوّل فأخطأ. فأما وسخ ثياب الحشم فمن كثرة حركته اتسخ ثوبه؛ وأما كنس الدار فليست أخلاقنا أخلاق من جعل داره مرآته، وتزيّنه لُبْسه، ومعروفه عطره، ثم لا يبالي بمن مات هزلا من ذي لُحمة أو حرمة. وأما منازعة التجار قهرماني، فمن كثرة حوائجه وبيعه وشرائه لم يجد بدّا من أن يكون ظالما أو مظلوما؛ وأما المال الذي أمر به أمير المؤمنين، فوصلته كل ذي رحم قاطعة، وهنأتُه كرامته المُنعم بها عليه، وقد قَبلناه وأمرنا لصاحبك منه بمائة ألف، ولشرحبيل بن السمط بمثلها، وليزيد بن شجرة بمثلها، وفي سعة الله وبسط يد أمير المؤمنين ما عليه مُعوّلنا.

فركب مُسلم بن عقبة إلى معاوية فأعلمه. فقال: صدق ابن عمّي فيما قال:

وأخطأت فيما انتهيت إليه، فاجعل نصيبك من المال لروح بن زِنباع عقوبة لك، فإنه من جنى جناية عوقب بمثلها، كما أنه من فعل خيراً كوفيء عليه.

ومن جوده: أن معاوية كان يداول بينه وبين مروان بن الحكم في ولاية المدينة، فكان مروان يُقارضه[1]. فلما دخل على معاوية قال له: كيف تركت أبا عبد الملك؟ ـ يعني مَروان ـ قال: تركته مُنفِّذاً لأمرك، مُصلحا لعملك. قال معاوية: إنه كصاحب الخُبزة كُفي إنضاجها فأكلها. قال: كلاّ ياأمير المؤمنين، إنه من قوم لا يأكلون إلا ما حصدوا، ولا يحصدون إلا ما زرعوا. قال: فما الذي باعد بينك وبينه؟ قال: خفتُه على شرفي وخافني على مثله. قال: فأي شيء كان له عندك؟ قال: أسوءه حاضراً وأسرُّه غائباً. قال: ياأبا عثمان، تركتنا في هذه الحروب. قال: حملت الثِّقل وكفيت الحزم. قال: فما أبطأ بك؟ قال: غِناك عني أبطأني عنك، وكنت قريباً، لو دعوت لأجبناك، ولو أمرت لأطعناك. قال: ذلك ظننا بك. فأقبل معاوية على أهل الشام، فقال ياأهل الشام، هؤلاء قومي وهذا كلامهم. ثم قال: أخبرني عن مالك، فقد نُبئت أنك تتجر فيه. قال: ياأمير المؤمنين، لنا مالٌ يخرج لنا منه فضل، فإذا كان ما خرج قليلاً أنفقناه على قلّته، وإن كان كثيراً فكذلك، غير أنا لا ندخر منه شيئاً عن معسر، ولا طالب، ولا مستحمل، ولا نستأثر منه بفلذة لحم، ولا مزعة شحم. قال: فكم يدوم لك هذا؟ قال: من السنة نصفها. قال: فما تصنع في باقيها؟ قال: نجد من يسلِّفنا ويسارع إلى معاملتنا. قال: ما أحد أحوج إلى أن يصلح من شأنه منك. قال: إن شأننا لصالح ياأمير المؤمنين، ولو زدت في مالي مثله ما كنت إلا بمثل هذه الحال. فأمر له معاوية بخمسين ألف درهم، وقال: اشتر بها ضيعة تعينك على مروءتك. فقال سعيد: بل أشترى بها حمداً وذكراً باقياً، أطعم بها الجائع، وأزوج بها الأيم، وأفك بها العاني؛ وأواسي بها الصديق، وأصلح بها حال الجار. فلم تأت عليه ثلاثة أشهر وعنده منها درهم. فقال معاوية: ما فضيلة بعد الإيمان بالله هي أرفع في الذكر

---

(١) يقارضه، أي ينظر كل واحد منها إلى صاحبه شزرا.

ولا أنبه في الشرف، من الجود، وحسبك أن الله تبارك وتعالى جعل الجُود أحد صِفاته.

ومن جوده أيضا ما حكاه الأصمعي، قال: كان سعيد بن العاص يسمرُ معه سُمّاره إلى أن ينقضي حين من الليل، فانصرف عنه القوم ليلة ورجلٌ قاعد لم يقُم. فأمر سعيد بإطفاء الشمعة وقال: حاجتك يافتى؟ فذكر أن عليه ديناً أربعة آلاف درهم، فأمر له بها. وكان إطفاؤه للشمعة أكثر من عطائه.

جود عبيد الله بن أبي بكرة

ومن جود عبيد الله بن أبي بكرة: أنه أدلى إليه رجل بحرمة، فأمر له بمائة ألف درهم. فقال: أصلحك الله، ماوصلني أحدٌ بمثلها قط، ولقد قطعت لساني عن شكر غيرك، وما رأيت الدنيا في يد أحد أحسن منها في يدك، ولولا [الله ثم] أنت لم تبق لها بهجة إلا أظلمت ولا نورٌ إلا انطمس.

جود عبيد الله بن معمر القرشي التيمي

ومن جود عُبيد الله بن معمر القرشي: أن رجلا أتاه من أهل البصرة كانت له جارية نفيسة قد أدبها بأنواع الأدب حتى برعت وفاقت في جميع ذلك، ثم إن الدهر قعد بسيدها ومال عليه. وقدم عبيد الله بن معمر البصرة من بعض وجوهه فقالت لسيدها: إني أريد أن أذكر لك شيئا أستحي منه، إذ فيه جفاء مني، غير أنه يسهل ذلك علي ما أرى من ضيق حالك، وقلة مالك وزوال نعمتك، وما أخافه عليك من الاحتياج، وضيق الحال، وهذا عبيد الله بن معمر قدم البصرة، وقد علمت شرفه وفضله وسعة كفه وجود نفسه، فلو أذنت لي فأصلحت من شأني، ثم تقدمت بي إليه وعرضتني عليه هدية، رجوت أن يأتيك من مكافأته ما يقيلك الله به وينهضك إن شاء الله. قال: فبكى وَجْدًا عليها وجزعا لفراقها منه، ثم قال لها: لولا أنك نطقت بهذا ما ابتدأتك به أبدًا. ثم نهض بها حتى أوقفها بين يدي عبيد الله، فقال: أعزّك

الله، هذه جارية ربَّيتُها ورضيت بها لك فاقبلها مني هدية. فقال: مثلي لا يستهدي من مثلك، فهل لك في بيعها، فأجزل لك الثمن عليها حتى ترضى؟ قال: الذي تراه. قال: يُقنعك مني عشرة بدر، في كل بدرة عشرة آلاف درهم؟ قال: والله يا سيدي ما امتد أملي إلى عُشر ما ذكرت، ولكن هذا فضلك المعروف، وجودك المشهور. فأمر عبيد الله بإخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه، وقال للجارية: ادخلي الحِجاب. فقال سيدها: أعزك الله لو أذنت لي في وداعها؟ قال: نعم. فوقفت وقام، وقال لها وعيناه تدمعان:

أبوح بحزن من فراقك مُوجعٍ ... أقاسِي به ليلاً يطيل تفكُّري
ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ... يُفرقنا شيءٌ سوى الموت فاعذري
عليك سلامٌ لا زيارة بيننا ... ولا وصل إلا أن يشاء ابن مَعمر

قال عبيد الله بن معمر: قد شئت ذلك، فخذ جاريتك، وبارك الله لك في المال. فذهب بجاريته وماله، فعاد غنيًّا.

فهؤلاء أجواد الإسلام المشهورون في الجود المنسوبون إليه، وهم أحد عشر رجلا كما ذكرنا وسمينا، وبعدهم طبقة أخرى من الأجواد، قد شهروا بالجود وعُرفوا بالكرم، وحُمدت أفعالهم. وسنذكر ما أمكننا ذكره منها إن شاء الله تعالى.

الطبقة الثانية من الأجواد

فمنهم الحكم بن حنطب (١)

قيل لنُصيب بن رباح: خَرف شعرك أبا محجن؛ قال: لا، ولكن خرف الكرم، لقد رأيتني ومدحت الحَكم بن حَنطب، فأعطاني ألف دينار ومائة نَاقة وأربعمائة شاة.

وسأل أعرابي الحكم بن حنطب، فأعطاه خمسمائة دينار؛ فبكى الأعرابي

(١) هو الحكم بن المطلب بن عبد الله بن المطلب بن حنطب.

فقال: ما يبكيك ياأعرابي؟ لعلك استقللت ما أعطيناك؟ قال: لا والله، ولكني أبكي لما تأكل الأرض منك، ثم أنشأ يقول:

وكـأن آدم حين حان وفـاتُـه أوصـاك وهـو يَجُود بالحـوبـاء[1]
ببنـيـه أن ترعـاهُـم فرعـيتَهم وكَـفَـيْـتَ آدمَ عيلة الأبنـاء

العُتبيّ قال: أخبرني رجلٌ من أهل منبج، قال: قدم علينا الحكم بن حَنطب، وهو مُملق فأغنانا. قال له: كيف أغناكم وهو مملق؟ قال: علمنا المكارم فعاد غنينا على فقيرنا.

ومنهم معن بن زائدة

وكان يقال فيه: حَدِّث عن البحر ولا حرج، وحدث عن معن ولا حرج. وأتاه رجلٌ يسأله أن يحمله، فقال: ياغلام، أعطه فرساً وبرذوناً وبغلا وعيرًا وبعيرًا وجارية، وقال: لو عرفتُ مَركوبا غير هؤلاء لأعطيتُك.

العُتبيّ قال: لما قَدِم معن بن زائدة البصرة واجتمع إليه الناس، أتاه مروان بن أبي حفصة فأخذ بعضادتي الباب[2]، فأنشده شعره الذي قال فيه:

فما أحجم الأعـداءُ عنـك بَقيـةً[3] عليـك ولكن لم يروا فيـك مطمعـا
له راحتـان الحتفُ والجُـود فيهـما أبـى الله إلا أن يَضُرَّ ويـنـفـعـا

ومنهم يزيد بن المهلب

وكان هشام بن حسَّان إذا ذكره قال: والله إن كانت السُّفن لتجري في جوده.

وقيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبني دارًا؟ قال: منزلي دار الإمارة أو الحَبس.

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده:

---

(١) الحوباء: النفس.

(٢) عضادتا الباب: خشبتان من جانبيه.

(٣) يريد بالبقية: الإبقاء.

صَحّ في قَيدك السماحةُ والجو د وَفكُّ العُناة والإفضالُ

قال: أتمد حتي وأنا في هذه الحال؟ قال: أصبتُك رخيصاً فاشتريتُك فأمر له بعشرة آلاف.

وقال سُليمان بن عبد الملك لموسى بن نُصير: أغرَم ديتَك خمسين مرة. قال: ليس عندي ما أغرم. قال: والله لتغرمنَّ ديتك مائة مرة. قال يزيد بن المُهلب: أنا أغرمها عنه ياأمير المؤمنين. قال: أغرم. فغرمها عنه مائة ألف.

الأصمعي قال: قدم على يزيد بن المُهلب قومٌ من قضاعة من بني ضنَّة، فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتَنا طَلبٌ إليك من الذي نَتطلَّبُ
ولقد ضَربنا في البلاد فلم نجد أحدًا سواكَ إلى المَكارم يُنسبَ
فاصبِر لعادتنا التي عودتَنا أو لا فأرشدنا إلى من نَذهب

فأمر له بألف دينار. فلما كان في العام المُقبل وفَد عليه فقال:

مالي أرى أبوابَهم مهجورةً وكأن بابك مجمع الأسواق
حابوك أم هابوك أم شامُوا النَّدى بيَديك فاجتمعُوا من الآفَاقَ
إنّي رأيتُك للمكارم عاشِقاً والمَكرُماتُ قليلةُ العُشاق

فأمر له بعشرة آلاف درهم.

ومر يزيد بن المُهلب في طريق البصرة بأعرابية فأهدت إليه عنزا فقبلها، وقال لابنه معاوية: ما عندك من نفقة؟ قال: ثمانمائة درهم. قال: ادفعها إليها. قال: إنها لا تعرفك ويرضيها اليسير. قال: إن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي، وإن كان يرضيها اليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير.

ومنهم يزيد بن حاتم

وكتب إليه رجلٌ من العلماء يَستوصله، فبعث إليه ثلاثين ألف درهم، وكتب إليه: أما بعد، فقد بَعثتُ إليك بثلاثين ألفاً لا أُكثِّرها امتناناً، ولا أقلِّلها تجبُّراً، ولا أستثيبك عليها ثناءً، ولا أقطع لك بها رجاءً، والسلام.

وكان ربيعة الرقيّ قد قدم مصر فأتى يزيد بن حاتم الأزديّ، فلم يعطه شيئا، فخرج وهو يقول:

أراني ـ ولا كُفـران لله ـ راجـعـا ... بِخُـفّي حُنـين من نوال ابن حاتمِ

فسأل عنه يزيد، فأخبر أنه قد خرج، وقال كذا، وأنشد البيت؛ فأرسل في طلبه، فأتى به، فقال: كيف قلت؟ فأنشده البيت. فقال: شُغلنا عنك. ثم أمر بخفيه فخلعتا من رجليه ومُلئتا مالاً، وقال: ارجع بها بدلا من خُفي حُنين. فقال فيه لمَّا عُزل عن مصر وولي مكانه يزيد بن أُسيد:

بَكى أهـلُ مصر بالدُّموع السَّواجم ... غداة غدا منهـا الأغـرُّ ابـنُ حاتِم

وفيها يقول:

لشتَّـان ما بين اليـزيـدين في النَّدى ... يزيـد سُليـم والأغـرِّ ابـن حاتـم
فهـمُّ الـفتى الأزديِّ إتـلافُ مالـه ... وهـمُّ الفتى القيسيِّ جمع الـدراهم
فلا يَحسب التَّمتـام أني هجـوتُـه ... ولـكـنَّـني فضّـلت أهـل المَكـارم

وخرج إليه رجلٌ من الشعراء يمدحه، فلما بلغ مصر وجده قد مات، فقال فيه:

لئـن مصرُ فاتـتـني بما كنـت أرتجـي ... وأحلفني منهـا الـذي كنتُ آمـلُ
فما كلّ ما يخشـى الـفـتى بمُصيبـه ... ولا كل ما يرجـو الفتى هُو نائـلُ
ومـا كان بيـني لو لقِيتُـك سالمـا ... وبـين الـغِـنَـى إلا لَيـالٍ قلائـلُ

ومنهم أبو دُلَف

واسمه القاسم بن إسماعيل، وفيه يقول عليُّ بن جَبلة:

إنّما الدُّنيا أبو دُلَفٍ ... بَين مَبداهُ ومُحتضَرِه[1]
فإذا ولّى أبو دُلَف ... ولّتِ الدُّنيا على أثَرِه

وقال فيه رجل من شعراء الكوفة[2]:

الله أجرى من الأرزاق أكثرها ... عَلى العباد على كَفَّي أبي دُلَف
بارَى الرياح فأعطى وهي جاريةً ... حتى إذا وقفت أعطى ولم يَقِف
ما خَطَّ «لا» كاتباه في صَحيفته ... يوماً كما خُطّ «لا» في سائر الصُّحف

فأعطاه ثلاثين ألفاً.

ومدحه آخرُ فقال له:

يُشبهه الرعدُ إذا الرعدُ رَجَف ... كأنه البرقُ إذا البرقُ خَطَف
كأنه الموتُ إذا الموتُ أزف ... تَحمِله إلى الوغى الخيلُ القُطُف[3]
إن سار سار المجدُ أو حَلَّ وقَف ... انظر بعينيك إلى أسنى الشّرف
هل نالَه بقُدرةٍ أو بكُلف ... خَلقٌ من الناس سِوَى أبي دُلَف

فأعطاه خمسين ألفاً.

ومن أخبار معن بن زائدة

قال شَرَاحيل بن مَعن بن زائدة:

حج هارون الرشيد وزميله أبو يوسف القاضي، وكنتُ كثيراً ما أسايره، إذ عرض له أعرابيٌّ من بني أسد فأنشده شعراً مدحه فيه وأفرط؛ فقال له هارون: ألم أنهك عن

---

(١) مبداه ومحتضره، يريد: حلوله البدو وحلوله الحضر.

(٢) الشاعر هو علي بن جبلة.

(٣) القطف: جمع قطوف، وهي الفرس تقارب الخطو في سرعة..

مثل هذا في مدحك يا أخا بني أسد؟ إذا قلت فينا فقُل كقول القائل في أب هذا:

بنـو مَطَر يومَ الـلقـاء كأنّهم ... أُسودٌ لها في غِيـل خفَّـان[1] أشبُـلُ
هُمُ يمنعـون الجـارَ حتى كأنـما ... لجارهـمُ بين السِّـماكـين مَنـزل
بهَاليل[2] في الإسلام سادُوا ولم يكُن ... كأولهـم في الجـاهـليـة أوَّل
ومـا يستـطيـع الفـاعلون فعـالهم ... وإن أحسنـوا في النّـائبـات وأجمَلُوا
هُمُ القـومُ إن قالوا أصابُوا وإن دُعُوا ... أجـابـوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا

ومنهم خالد بن عبد الله القسري

وهو الذي يقول فيه الشاعر:

إلى خالـدٍ حتـى أنـحن بخـالـدٍ ... فنِعـم الـفَتى يُرجَى ونِعم المُؤمّـلُ

وبينا خالد بن عبد الله القَسريّ جالس في مِظلة له إذ نظر إلى أعرابي يَخبّ به بعيرُه مقبلا نحوه، فقال لحاجبه: إذا قَدِم فلا تَحجبُه. فلما قدم أدخله عليه فسلم وقال:

أصـلحـك الله قَـلّ ما بيـدِي ... فما أُطـيـق الـعِيـالَ إذ كَثـروا
أنـاخ دهـرٌ ألـقـى بكَـلكَـلِه ... فأرسـلُوني إلـيـك وانـتـظروا

فقال خالد: أرسلوك وانتظروا؟ والله لا تنزل حتى تَنصرف إليهم بما يَسُرهم، وأمر له بجائزة عظيمة وكُسوة شريفة.

ومنهم عدي بن حاتم

دخـل عليه ابنُ دارة فقال: إني مدحتُك؟ قال: أمسك حتى أتيك بمالي، ثم امدحني على حسبه، فإني أكره ألا أعطيك ثمن ما تقول، لي ألفُ شاة وألف دِرهم وثلاثة أعْبُد وثلاث إماء وفَرسي هذا حُبِس في سبيل الله، فامدَحني على حسب ما أخبرتُك. فقال:

---

(١) خفان (كحسان): موضع كثير الغياض قرب الكوفة.

(٢) في نسخة: جمع لهميم، وهو السابق الجواد.

نَحِنُّ قلوصي في مَعَدٍّ وإنما ... تُلاقي الربيع في ديار بني ثُعَلْ
وأبقى الليالي من عدي بن حاتمٍ ... حُساماً كنصل السيف سُلَّ من الخلل[1]
أبوك جوادٌ لا يُشق غُباره ... وأنت جوادٌ ما تَعذَّر[2] بالعِلَلْ
فإن تَتقوا شرًّا فمثلكم اتّقى ... وإن تفعلوا خيراً فمثلكُم فَعَلْ

قال له عَدِيّ: أمسك لا يبلغ مالي أكثرَ من هذا.

أصفاد الملوك على المدح

سعيد بن مُسلم الباهليّ قال:

قدم على الرشيد أعرابي من باهلة وعليه جُبة حِبرة ورِداءٌ يَمان، قد شدّه على وسطه، ثم ثَناه على عاتقه، وعمامتهُ، قد عصبها على فودَيه، وأرخى لها عَذَبة من خَلفه. فمثلَ بين يدي الرشيد. فقال سعيد: ياأعرابي. خُذ في شرف أمير المؤمنين. فاندفع في شعره. فقال الرشيد: ياأعرابي، أسمعك مُستحسناً وأنكرك مُتهما، فقل لنا بيتين في هذين: ـ يعني محمدًا الأمين وعبد الله المأمون ابنيه وهما عن حِفافيه ـ فقال: ياأمير المؤمنين، حملتني على الوَعر القَردد[3]، ورجعتني عن السهل الجَدَد[4]، رَوعة الخلافة، وبُهر الدرجة، ونفور القوافي على البديهة، فأرودني تتألف لي نوافرُها، ويسكن روعي. قال: قد فعلتُ، وجعلت اعتذارك بدلاً من امتحانك. قال: ياأمير المؤمنين، نَفّست الخِناق، وسهّلت مَيدان السِّباق؛ فأنشأ يقول:

بَنيتَ لعَبد الله ثم محمدٍ ... ذُرَى قُبّة الإسلام فاخضر عُودُها
هما طُنُباها[5] بارَك الله فيهما ... وأنت أمير المؤمنين عَمودُها

---

(١) الخلل جمع خلة (بالكسر)، وهي جفن السيف المغشى بالأدم.
(٢) ما تعذر، يريد ما تتعذر.
(٣) القردد: ما ارتفع وغلظ من الأرض.
(٤) الجدد (محركة): الأرض الغليظة المستوية.
(٥) الطنب (بضمتين): حبل طويل يشد به سرادق البيت، أو هو الوتد.

فقال الرشيد: وأنت ياأعرابيّ، بارك الله فيك، فَسل ولا تكن مسألتك دون إحسانك. قال: الهُنَيدة[١] ياأمير المؤمنين. فأمر له بمائة ناقة وسَبع خِلَع.

ودخل أعشى ربيعة على عبد الملك بن مروان وعن يمينه الوليدُ، وعن يساره سُليمان. فقال له عبد الملك: ماذا بَقي ياأبا المُغيرة؟ قال: مَضى ما مضى وبقي ما بَقى وأنشأ يقول:

وما أنا في حَقِّي ولا في خُصومتي ... بمُهتضَمٍ حقِّي ولا قارعٍ سِنّي
ولا مُسلم مَولاي من سُوء ما جنَى ... ولا خائف مولاي من سُوء ما أجني
وفَضلي في الأقوال والشعر أنّني ... أقولُ الذي أعني وأعرفُ ما أعني
وأنّ فؤادي بين جَنبيّ عالمٌ ... بما أبصرت عَيني وما سَمِعت أذنَي
وأني وإن فَضَّلت مَرَوان وابنَه ... على الناس قد فضَّلت خير أبٍ وابنِ

فضحك عبد الملك، وقال للوليد وسليمان: أتلوماني على هذا؟ وأمر له بعشرة آلاف.

العُتبيّ قال:

دخل الفرزدق على عبد الرحمن الثَّقفي بن أم الحكم، فقال له عبدُ الرحمن: أبا فِرَاس، دعني من شعرك الذي لا يأتي آخرُه حتى يُنسى أوَّلُه، وقُل فيّ بيتين يعلقان أفواه الرُّواة، وأعطيكها عطيةً لم يُعطِكها أحدٌ قبلي. فغدا عليه وهو يقول:

وأنت ابن بَطحاوَي قُريش[٢] فإن تَشأ ... تكُن في ثَقيف سَيل ذى حَدَب غمْر[٣]
وأنت ابنُ فَرعٍ ماجدٍ لِعَقيلةٍ ... تَلقت له الشمس المُضيئة بالبَدرِ[٤]

قال: أحسنتَ. وأمر له بعشرة آلاف.

---

(١) الهنيدة: اسم للمائة من الإبل، أو لما فوقها ودونها.

(٢) سميت قريش في الجاهلية قريش البطحاء، وهم الذين كانوا ينزلون الشعب بين أخشبي مكة؛ وقريش الظواهر، وهم الذين كانوا ينزلون خارج الشعب. وأكرمها قريش البطاح. فالمراد ببطحاوي: بطحاء قريش. وقيل أراد أعلى مكة وأسفلها، أي عبد شمس وبني هاشم.

(٣) الحدب: الحدور في صبب.

(٤) يريد بالشمس والبدر: أمه وأباه. وله، أي لأجله.

أبو سُويد قال: أخبرني الكُوفيّ قال:

اعترض الفضل بن يحيى بن خالد في وقت خُروجه إلى خُراسان فتىً من التجار كان شَخَص إلى الكوفة، فقُطِع به، وأخذ جميعُ ما كان معه، فأخذ بعِنان دابّة الفضل وقال:

سأُرسِل بَيتاً ليس في الشعر مثله ... يُقطِّع أعناق البُيوت الشَّوارِدِ
أقام النَّدى والبأسُ في كلِّ منزل ... أقامَ به الفضلُ بن يحيى بن خالدِ

قال فأمر له بمائة ألف درهم.

العُتبيّ: قال أبو الجنوب مروان بن أبي حفصة أبياتاً ورفعها إلى زبيدة بنت جعفر يمتدح ابنها محمداً، وفيها يقول:

لله دَرُّكِ يا عَقيلة جَعفرٍ ... ماذا ولدت من العُلا والسُّودَدِ
إنّ الخلافة قد تبيّن نُورها ... للناظِرين على جَبين مُحمَّدِ

فأمرت أن يُملأ فمُه دُرًّا.

عرض رجل لابن طوق، وقد خرج متنزهاً في الرحبة، فناوله رقعةً فيها جميع حاجته، فأخذها فإذا فيها:

جعلتُك دُنياي فإن أنت جُدت لي ... بخير وإلا فالسَّلام على الدُّنيا

فقال: والله لأُصدِّقن ظنك. فأعطاه حتى أغناه.

وخرج عبد الله بن طاهر الخُراساني فتلقاه دِعبل بن علي الشاعر برقعة فيها:

طلعت قَناتُك بالسعادة فوقَها ... مَعقودةً بلواء مُلكٍ مُقبلِ
تَهتزّ فوق طَريدتَين كأنما ... تَهفُو يُقَصّ لها جَناحا أجْدلِ
رَبِح البَخيلُ على احتيالٍ عرضه ... بنَدى يدَيك ووجهك المتهللِ
لو كان يَعلم أن نَيْلك عاجلٌ ... ما فاض منه جَدْوَل في جَدولِ

فأمر له بخمسة آلاف.

القَحذَميّ قال:

جاء موسى شهوات إلى سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، فقال: إنّ هنا جارية

خطبتها، وأبَوا أن يَنقصُوني عن مائتي دينار. فقال: بورك فيه. فذهب إلى سعيد بن خالد بن أسِيد، وأمه عائشة بنت طلحة الطَّلحات[١]، فدَعا بمطرف خَزّ فبسطه وعقد في كل رُكن من أركانه مائة دينار، وقال لموسى: خذِ المِطرف بما فيه، فأخذه، ثم غدا عليه فأنشده:

أبـا خالـدٍ أعني سعيـدَ بن خالـدٍ ... أخا العُرف لاأعني ابن بِنت سَعيدِ[٢]
عَميدَ الندى ماعاش يرضى به الندَى ... فإن مات لم يرضَ النـدى بعَميـد
دَعُـوه دَعُـوه إنـكـم قد رَقـدتـمُ ... ومـا هو عن أحسـابكم برَقُـودِ

الأصمعيّ قال: حدّثني رُؤبة قال: دخلت على أبي مُسلم صاحب الدعوة، فلما أبصرني نادى: يارؤبة، فأجبته:

لبَّـيـك إذ دعـوتـني لبَّـيـكـا ... أحمـدُ ربًّـا ساقَـني إلـيـكـا

ثم قلت: يأذن لي الأمير في الإنشاد؟ قال: نعم، فأنشدته:

مازال يأتي المُـلك من أقـطاره ... وعـن يَمـيـنـه وعـن يَسـارِه
مُشـمِّـرًا لا يُصـطلى بنَـاره ... حتـى أقـرَّ المُـلكَ في قَراره

فقال: يارؤبة، إنك أتيتنا وقد شفّ المالُ واستنفده الإنفاق، وقد أمرنا لك بجائزة وهي تافهة يَسيرة، ومنك العَود وعلينا المُعوَّل، والدهرُ أطرقُ مُستَتِبٌّ[٣] فلا تجعل بيننا وبينك الأسِدَّة. قال رُؤبة: فقلت: الذي أفادني الأميرُ من كلامه أكثرُ من الذي أفادني من ماله.

دخل نُصيب بن رباح على هشام فأنشده:

إذا استبق النـاسُ العُـلا سَبَقتهمُ ... يمينُـك عَفـواً ثم صَلَّت شِمالَـكَ

فقال هشام: بلغتَ غاية المدح فسَلني. فقال: ياأمير المؤمنين، يداك بالعطيّة أطلقُ من لساني بالمسألة؟ قال: لابد أن تفعل؟ قال: لي ابنة نفضتُ عليها من

---

(١) طلحة الطلحات: هو أبو محمد طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي.

(٢) ابن بنت سعيد: هو سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان، وأمه بنت سعيد بن العاص.

(٣) أطرق مستتب: الضعيف الذليل وهو من أوصاف البعير.

سَوادي فكَسدها، فلو أنفقها أمير المؤمنين بشيء يجعله لها؟ قال: فأقطعها أرضاً، وأمر لها بحُلي وكُسوة.

الرِّياشي عن الأصمعي، قال: مَدح نُصيب بن رَباح عبد الله بن جعفر، فأمر له بمال كثير، وكُسوة شريفة، ورَواحل مُوقَرة بُرًّا وتَمرا. فقيل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسود؟ قال: أما لئن كان عبدًا إن شِعرَه فيّ لحُرّ، ولئن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالاً يفنى، وثيابا تَبلى، ورواحل تنضى، وأعطى مديحا يُروى، وثَناء يَبقى.

وذكروا عن أبي النَّجم العجليّ أنه أنشد هِشاماً شعره الذي يقول فيه:

الحمـــدُ لله الـوهـــوب المُجـــزِل

وهو من أجود شعره، حتى انتهى إلى قوله:

والشمـسُ في الجـوّ كَعَين الأحْـوَل

وكان هشامٌ أحولَ، فأغضبه ذلك، فأمر به فطُرِد. فأمّل أبو النَّجم رَجعتَه، فكان يأوى إلى المسجد. فأرق هِشام ذاتَ ليلة فقال لحاجبه: ابغني رجلاً عربيا فصيحا يُحدثني ويُنشدني. فطلب له ما سأل، فوجد أبا النّجم، فأتى به. فلما دخل عليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: حيثُ ألفاني رسولُك. قال: فمن كان أبا النجم أبا مَثواك؟ قال: رجلين أتغدَّى عند أحدهما وأتعشّى عند الآخر. قال: فما لك من الوَلد؟ قال: ابنتان. قال: أزوجتَهما؟ قال: زوَّجت إحداهما. قال: فما حال الأخرى؟ قال: هي ظلّامة التي أقول فيها:

كأن ظلاّمـة أختَ شيبـان يَتيـمـة ووالـداهـا حَيّـان
الـرأس قَمْـل كله وصِئبـان ولـيس في الـرِّجلين إلا خيـطان

قال هشـام لحاجبـه: ما فعلت بالدنانير التي أمرتك بقَبضها؟ قال: هي عنـدي، وهي خمسمائة دينار. قال له: ادفعها لأبي النجم ليجعلها في رِجْلَي ظلّامة مكان الخيطين.

أبو عُبيدة قال: حَدَّثني يونس بن حَبيب قال:

لما استُخلف مروان بن محمد دخل عليه الشعراء يهنّئونه بالخلافة، فتقدّم إليه طُريح بن إسماعيل الثقفي، خال الوليد بن يزيد، فقال: الحمد لله الذي أنعم بك على الإسلام إماما، وجعلك لأحكام دينه قِواما، ولأمة محمد المصطفى جُنّة ونظاما، ثم أنشده شعره الذي يقول فيه:

تَسوء عداك في سَداد وَنِعْمةٍ خلافتُنا تِسعين عاما وأشهرَا

فقال مروان: كم الأشهر؟ قال: وفاء المائة ياأمير المؤمنين، تبلغ فيها أعلى درجة، وأسعد عاقبة في النُصرة والتمكين. فأمر له بمائة ألف درهم.

ثم تقدَّم إليه ذو الرّمة مُتحانياً كَبْرَةً[1] قد انحلت عمامته مُنحدرةً على وجهه، فوقف يُسوِّيها. فقيل له: تقدَّم. قال: إني أُجلُّ أمير المؤمنين أن أخطُب بشَرفه مادحاً بلوثة عِمامتي فقال مَروان: ما أمَّلت أنه قد أبقت لنا منك مَيّ ولا صَيدح[2] في كلامك إمتاعاً. قال: بلى والله ياأمير المؤمنين، أرِد منه قَراحا، والأحسن امتداحا. ثم تقدَّم فأنشد شعراً يقول فيه:

فقلتُ لها سِيري أمامك سَيِّدٌ تَفرَّع من مَروان أو من مُحَمَّدِ

فقال له: ما فعلت مَيّ؟ فقال: طُويت غَدائرها ببُرد بَلى، ومحا التّرب محاسن الخَد، فالتفت مروان إلى العباس بن الوليد، فقال: أما ترى القوافي تنثال انثيالا، يُعطى بكل من سَمّى من أبائي ألف دينار. قال ذو الرُّمة: لو علمتُ لبلغتُ به عبدَ شمس.

الربيعُ حاجبُ المنصور قال: قلت يوماً للمنصور: إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم، ونفدت نفقاتهم. قال: اخرج إليهم فاقرأ عليهم السلام وقل لهم: من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد، فإنما هو كلب من الكلاب، ولا بالحيَّة، فإنما هي دُويبّة مُنتنة تأكل التراب، ولا بالجَبل، فإنما هو حجر أصمّ، ولا بالبحر، فإنما هو غُطامط[3] لَجب، ومن ليس في شعره هذا

(١) أي أنه طعن في السن فتقوس ظهره.

(٢) مي: صاحبة ذي الرمة. وصيدح: ناقته. (٣) غطامط (بالضم): عظيم الأمواج.

فَليدخل ومن كان في شعره فلينصرف فانصرفوا كُلُّهم إلا إبراهيم بن هَرمة، فإنه قال له: أنا له ياربيع، فأدخلني. فأدخله، فلما مَثل بين يديه، قال المَنصور ياربيع، قد علمتُ أنه لا يُجيبك أحد غيره، هات يابن هرمة. فأنشده قصيدته التي يقول فيها:

له لحظاتٌ عن حفَافَيْ سَريره ... إذا كَرَّها فيها عَذابٌ ونائلُ
لهم طِينةٌ بيضاءُ من آل هاشمٍ ... إذا أسودَّ من كوم التراب القبائل
إذا ما أَبَى شيئاً مضى كالذي أبي ... وإن قال إنّي فاعِل فهو فاعل

فقال: حسبك، هاهنا بلغت، هذا عين الشعر، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم. فقُمت إليه وقبّلت رأسه وأطرافه ثم خرجت؛ فلما كِدت أن أخفى على عينيه سمعته يقول: ياإبراهيم. فأقبلت إليه فَزعا، فقلت: لَبَّيك، فداك أبي وأمي. قال: احتفظ بها فليس لك عندنا غيرُها. فقلت: بأبي وأمي أنت، أحفظها حتى أوافيك بها على الصراط بخاتَم الجهبذ.

ودخلت لَيلى الأخيلية على الحجَّاج فأنشدته:

إذا وَرد الحجَّاج أرضاً مَريضة ... تتبَّع أقصى دائها فشَفَاهَا
شَفاها من الدّاء العُضَال الذي بها ... غُلامٌ إذا هَزَّ القَناة سَقَاها

فقال لها: لا تقولي: غلام، ولكن قُولي: همام. ثم قال: أيُّ النساء أحبُّ إليك أُنزلك عندها؟ قالت: ومَن نِساؤك أيها الأمير؟ قال أم الجلاس بنت سعيد بن العاص الأموّية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفَزَارية، وهند بنت المُهلَّب بن أبي صُفرة العَتَكيَّة، قالت: القَيسية أحبّ إليَّ. فلما كان من الغد دخلت عليه. قال: ياغلام، أعطها خَمسمائة. قالت: أيها الأمير، أحسبها أُدما[1]. قال قائل: إنما أمر لك بشاء قالت: الأمير أكرم من ذلك. فجعلها إبلاً إناثا على استحياء، وإنما كان أمر لها بشَاء أولا.

---

(١) الأدم: البيض من الإبل، وهي أكرمها.